الجمـــهـــورية الجزائـــريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
وزارة التعليـــم العـــالي والبحث العلمـــي
جـــامعة جيلالي ليابس - سيدي بلعباس-
كلية الآداب واللّغات والفنون
قسم اللغة العربية وآدابها

رسالة لنيل شهادة الماجستير في النقد الحديث والمعاصر

مشروع:الشعر الجزائري الحديث في ضوء النقد الجزائري الحديث

لـــ أ. د/ملاح بناجي

محمد الهادي السنوسي بين الاختيار والإبداع الشعري

من إعداد :
بوعزة عدون

إشراف الدكتور:
الأحمر الحاج

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د/ملاح بناجي..... جامعة سيدي بلعباس .....رئيسا

د/الأحمر الحاج ..... جامعة سيدي بلعباس..... مشرفـــا ومقررا

د/ بن معمر بوخضرة..... جامعة تلمسان.....مناقشا

أ.د/فرعون بخالد..... ..جامعة سيدي بلعباس..... مناقشا

السنـــة الجامعيّـــة : 1436 هـــ/1437هـــ/2015/2016م

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ

سورة البقرة الآية (286)

مدخل:

تزامنت حركة الانتعاش الفكري والأدبي في الجزائر أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين مع مناخ سياسي فكري جديد خصوصا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، حين مضت الجزائر تزداد انفتاحا على العالم الخارجي -عربيا و إسلاميا وأوربيا - فأسهمت في ذلك عوامل مختلفة، داخليا وخارجيا، فقد مضى الحس الوطني يتنامى بين الجزائريين، كما اتسعت الصلة بين الشرق والغرب عبر روافد مختلفة، وقنوات عديدة مثل :الصحافة ، والجنود، والمهاجرين إلى فرنسا بالخصوص، كما غذّت هذا الحس الوطني ببعده القومي الواضح سياسة الغرب في الهيمنة على العالم الإسلامي ومنه الوطن العربي.

إن الحركة الأدبية ذات صلة وثيقة بالوضع الوطني والاجتماعي، فقد كان الأديب دائما ضمير الأمة ، وصدى همومها وآلامها وآمالها، ولسانها المعبر عن معاناتها وطموحها، يرصد جوانب الخير والشر فيها، فيبارك تلك عموما ، ويعرض عن هذه ويدينها غالبا، مبشرا بمثل العمل والمحبة والوفاء، داعيا إلى سعادة الإنسان وصون كرامته، وكرامة وطنه ، معلنا عداءه لكل أشكال الظلم والقهر وكل أساليب المصادرة التي تتعرض لها حريته وحرية أبناء وطنه .

يسعى هذا البحث الموسوم ب : محمد الهادي السنوسي بين الاختيار والابداع الشعري إلى إماطة اللثام عن اتجاه الشعر الجزائري التقليدي المحافظ، الذي تجشم ورواده عناء حمل أعباء الإصلاح والتوعية والتوجيه على عاتقه في وقت

كانت الجزائر فيه ترزح تحت وطأة الاحتلال الفرنسي الغاشم، ففي مطلع العشرينات شرعت جذوة الحس الإصلاحي تتقد أكثر من ذي قبل، مما أشعل فتيل صراع فكري

بين الفكر الوطني الإصلاحي القائم على العربية والإسلام والجزائر من جهة، وبين سياسة الاستعمار والفكر الموالي له من جهة أخرى.

في هذا الظرف بالذات كان لمثل " نادي الترقي " الذي تأسس بالعاصمة الجزائرية سنة 1927 م بفكرة من أحمد توفيق المدني دور بارز في الحركة الثقافية عموما، والحركة الإصلاحية خصوصا، وقد قام هذا النادي بمهمة جليلة في إشاعة الحرف العربي :دروسا ووعظا وخطابة من أجل التمكين للحس الوطني، وقد وفق هذا الصرح في مهمته .

هذا المحيط الجديد غذته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بفكرها الإصلاحي بعد تأسيسها، بقيادة أقطاب فكر وإصلاح من قبيل : عبد الحميد بن باديس، ومحمد البشير الإبراهيمي، والعربي التبسي، والطيب العقبي ... وغيرهم، حيث انطلقت عاصفة الإصلاح من قسنطينة وبدأت في المنطقة بعض الأسر المسلمة تفكر في رد اعتبارها على أساس الوطنية و الدين.

لقد شهد الأدب الجزائري في هذه الفترة قفزة نوعية وكمية ، تطورت فيها أشكال قديمة ، فعرف الفخر في الشعر منحى وطنيا متطورا ناضجا حارا، حين شاع الشعر السياسي القومي، والرمزي، ... وغير ذلك، كما برزت أشكال جديدة مثل : القصة، والخاطرة، والمسرحية بنوعيها : النثرية والشعرية، وتألقت في ذلك

شخصيات أدبية كثيرة بدأت منذ العشرينات تعكس ملامح أدب جزائري نضالي وإصلاحي، تبعا لواقع الحياة السياسية والاجتماعية آنذاك.

إن الباحث في الشعر الجزائري الحديث يلحظ فيه نزعتين :نزعة المحافظة والتقليد وكان لها أنصارها والمتحمسون لها، ونزعة التطوير والتجديد وكان لها روادها والداعون إليها .غير أن النزعة الأولى كان لها في الأوساط الأدبية الجزائرية معتنقون

أكثر، ووجدت من الشعراء والنقاد استجابة تلقائية أكبر، بفعل الظروف والمؤثرات السياسية، والثقافية، والاجتماعية، التي أحاطت بالشاعر الجزائري، هذه الأخيرة التي تضافرت كلها على توجيه الحركة الشعرية إلى أن تتغلب عليها نزعة المحافظة والتقليد . ومن هنا يكون تسليط الضوء على هذه المؤثرات الأساسية التي ساعدت على انتشار هذا الاتجاه واستمراره أمرا ضروريا، قبل التعريج على نماذج هذا التيار الشعرية ذات التوجه الإصلاحي وتقييمها.

تأتي " الثقافة السلفية " في طليعة المؤثرات على الشعر الجزائري التقليدي المحافظ، فقد ظلت الثقافة العربية في الجزائر طوال عهد الإصلاح، ثقافة سلفية محافظة توجهها وترعاها حركة إصلاحية . ومن ثم فقد جاءت دعوة الأدباء الإصلاحيين إلى العناية بالقرآن الكريم - وهو يعد الرافد القوي، والمنبع الثري للثقافة العربية، والاهتمام به حفظا وتذوقا، ودراسة وتفسيرا - استجابة طبيعية لهذه الرسالة التي يحملها رجال الإصلاح، وهم يقاومون تيار الثقافات الأجنبية الدخيلة، يقول الشاعر إبراهيم أبو اليقظان :

رحلنا رحلة ألقت علينا دروسا في دروس في دروس
رأينا الناس أشكالا فمنهم ثعالب بل ذئاب في لبوس
و منهم بائعو الدين الشريف مع الأوطان بالثمن البخيس
و لكن بين هؤلاء قوم كرام مصلحون ذوو نفوس[1]

[1] مالك بن نبي . مذكرات شاهد على القرن . دار الفكر . بيروت 1970 . م . ص82

يعد الأدب العربي القديم من أغزر الروافد التي صبت في الشعر الجزائري الحديث، فساعدته على الثراء والنمو، وطبعته بالقوة والجزالة، وأشاعت فيه التعابير المستمدة من الأدب القديم، ونحسب أن الذي دفع الشعراء الإصلاحيين إلى تشرب الأدب القديم والعناية به حفظا وتذوقا وتقليدا سببان أساسيان، أولهما :عناية الحركة الإصلاحية بالتراث العربي القديم، بوصفه الرافد القوي الذي يرفع اللغة العربية المضطهدة في الجزائر.

و لم يقتصر هذا في العناية والتوجيه على شيوخ الحركة الإصلاحية وحدهم، بل إننا نجد من بين شعرائها أيضا من كان يوجه الأدباء الناشئين إلى الأدب القديم، مفضلا إياه على الأدب الجديد، فهذا الشاعر محمد الهادي السنوسي يوجه أبناء وطنه من الشعراء الذين كان لهم شرف حمل راية الشعر الإصلاحي من أمثال محمد اللقاني ، محمد السعيد الزاهري ، مفدي زكرياء ، رمضان حمود ، الأمين العمودي ، محمد الصالح خبشاش ...الخ

وأما السبب الثاني الذي دفع الشعراء الإصلاحيين إلى تشرب الأدب العربي القديم دون سواه هو ابتعادهم عن الثقافات الأجنبية، فمن المعروف أن أغلب الشعراء في عهد الإصلاح كانوا قد تخرجوا في جامع الزيتونة، و لم يسعفهم الحظ في أن يضيفوا إلى ثقافتهم العربية ثقافة أجنبية أخرى، بل إن بعض الشعراء كان يرفض الاحتكاك بالثقافة الفرنسية، وهذا ما أشار إليه الدكتور محمد مصايف في كتابه (النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي) حيث يقول:

" لأن فرنسا في نظر نقاد المغرب العربي وأدبائه التقليديين دولة استعمارية، وهذا ما يفسر قيام بعض هؤلاء بردود فعل قوية ضد ما أسموه : احتكاك اللغة العربية باللغة الأجنبية "1

من المؤثرات الأساسية يلوح التأثر بمدرسة الإحياء العربية في الأفق، ومن العوامل الأساسية المساعدة على انتشار أدب مدرسة الإحياء في الجزائر، اتجاه الحركة الإصلاحية وموقفها السلفي الواضح من قضايا الفكر والثقافة، فما كان إعجاب الحركة الإصلاحية بأدباء النهضة العربية وشعرائها يتوقف عند حدود القراءة والمتابعة ولكنه تجاوزه إلى

التشرب والتقليد، فكان المدرسون يحفظون قصائد" البارودي "و" أحمد شوقي " و" حافظ إبراهيم "و" معروف الرصافي" ويحفظونها بالتّالي لتلامذتهم، ويعطونهم أبياتا منها يطلبون منهم تشطيرها أو معارضتها، ويعقدون لهذا منافسات يرصدون لها جوائز تشجيعية.

آخر المؤثرات هو مفهوم أصحاب هذا الاتجاه للشعر ، فقد ظلت نظرة الشعراء الإصلاحيين إلى الشعر و ماهيته مرتبطة بالمفهوم التقليدي المعروف عند النقاد العرب القدامى له ، مما كان له الأثر في التصور العام لمفهوم الشعر، ووظيفته ، ورسالة الشاعر في الحياة والمجتمع .

غير أن اللافت للنظر هو أن الشعراء الجزائريين لم يقفوا وقفات طويلة في تحديد ماهية الشعر وتعريفه، وكأنهم اكتفوا في ذلك بمقولات النقاد القدماء، وسلموا بها دون محاولة الإضافة إليها، في حين نجدهم يولون أهمية كبيرة لوظيفة الشعر ودوره ومكانته في الحياة والمجتمع، ويناقشون مهمة الشاعر ورسالته في التوجيه والتوعية، وربط كل هذه الأمور

بالواقع الجزائري والظروف السياسية والاجتماعية آنذاك ، فالشعر وسيلة تعبيرية تهدف إلى نهضة الأمة اعلم أن آداب كل أمة مرآتها، ومرآة الأدب : « ورقيها والترجمان الأمين لأفرادها . يقول أبو اليقظان في هذا الشأن الشعر : " فالشعر هو

مظهر، تظهر فيه مشاعر الأمة، وتتجلى فيه أحوالها، وتتراءى للرائي نفسيتها، ويعرف به درجة مزاجها العقلي " [1]

ويولي أبو اليقظان أهمية بالغة للغاية التعليمية للشعر، ويؤكد على ضرورته في بناء مجتمع متماسك فنّا من الفنون الجميلة التي لا تكتمل حياة الأمة إلا بها ما دام القصد منه إيقاظ الإحساس، وتنبيه « ومتخلق، فهو يراه الشعور، وتنمية العاطفة، وتربية الوجدان، وتنوير العقل، وتهذيب النفس وكبح جماحها وحملها على أغراض شريفة ... " [2]

أما محمد الهادي السنوسي الزاهري فيضع الشعر والشعراء في: " الطليعة المواجهة لتحمل أمانة الإصلاح ، والتوجيه، ووحدة الصفوف، والوقوف أمام أطماع النفعيين والانتهازيين من المعمرين، ومن ثم فإنه لا غنى لأية أمة عن .الشعر والشعراء " [1]

ما يلاحظ على هذه النصوص النقدية ربطها الواضح بين الشعر والأخلاق، فالشعراء والنقاد المحافظون يتصورون في تمسك شديد - وباتفاق يكاد يكون إجماعا - أن رسالة الشاعر إصلاحية، توجيهية، تعليمية، بل إن بعض النصوص تذهب إلى حد اعتبار الشاعر محاسبا على سلوكه الأخلاقي أكثر من غيره لأنه القدوة والمثال، ففي مقدمة كتاب(شعراء الجزائر في العصر الحاضر) يذهب محمد الهادي السنوسي إلى اعتبار الشعر العربي أداة كفاح في سبيل تأصيل قيم الشعب الجزائري، ووسيلة من وسائل الرقي والنهوض، وهو من أجل ذلك يعد الشاعر في المجتمع " إنه ذلك الفذ القادر الذي أوقف نفسه على بني جلدته، أو بني الإنسان جميعا، يجاهد بفكره رسولا ذا

---

[1] إبراهيم أبو اليقظان . الديوان . المطبعة العربية . الجزائر . 1931 ، ج . 2 ص 04

[2] المصدر نفسه . ص07

[1] ينظر . محمد الهادي السنوسي الزاهري . شعراء الجزائر في العصر الحاضر . ، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع ، قسنطينة ، الجزائر ، 2007 . ط 2 ، ج2 ، ص14- 15.

رسالة سامية سبيلهم ليهدي الضال، ويعلم الجاهل، ويضرب لأبناء البشر المثل العالية في السعادة ، وكمال الإنسان"[1]

وهكذا كان أغلب الشعراء في هذه الفترة يصدرون في مفهومهم للشعر ، عن هذه النظرة التي تولي الجانب الأخلاقي أهمية في المجتمع ، ولا تتصوره إلا في خدمة الوجدان الاجتماعي للأمة ، ولعل هذا الاتجاه هو الذي يفسر دعوة بعض الشعراء إلى الانصراف عن بعض الأغراض الشعرية ذات الطابع الشخصي أو الاهتمامات الفردية ، كالمدح إذ رأوه تملقا، والرثاء الذي اعتبروه تعدادا ونحيبا، والهجاء الذي عدوه بذاءة وانحطاطا، وازورارهم عن الغزل . معتبرين إياه خروجا عن الآداب العامة ، والوقار الإصلاحي[2]

ويتجلى المفهوم السلفي لدور الشعر عند بعض الشعراء بصفة أكثر وضوحا، وأشد تركيزا عندما يتصورون الشاعر نفسه فردا مجندا في إطار الحركة الإصلاحية، يجب أن يقدم الدليل من نفسه في حسن السلوك والتحلي بالأخلاق .

والواقع أننا نلمح في هذه النصوص النقدية إشارات خفية تدعو إلى توظيف الشعر أداة للكفاح السياسي الوطني ، إلى جانب استخدامه أداة للإصلاح الاجتماعي، ولكن هذه النصوص على قلتها لا تكاد تصرح بهذا الموقف نظرا للأوضاع الاستعمارية المعروفة، فهذا محمد الهادي السنوسي يؤكد على دور الشاعر الجزائري في بعث الإحساس الوطني في المجتمع، وما ينتظر منه في هذا المجال، ويضرب لذلك مثلا بشعراء الثورة الفرنسية بطريقة ذكية ، ويبين للشعراء الجزائريين ما كان" لفيكتور هيجو "و "لامارتين "و" فولتير"، من دور فعال في إيقاظ الهمم الفاترة فثارت ضد الظلم والاستبداد .

---

[1] المصدر نفسه،ص09.

[2] ينظر . إبراهيم أبو اليقظان . الديوان . ص 11

ويعد الشاعر محمد الهادي السنوسي الشعر - نظرا إليه من هذا الجانب - خير كفيل بالرقي إلى أفق الكمال، وصرح العز والرّتب ، لأن الشاعر يستطيع أن يثير الحماسة، ويبعث الشعور الحي في أفراد الشعب، بل إن باستطاعته أن يكون رائدا للشعب في مقاومة المستعمر، دافعا إياه إلى إثبات ذاته، واسترداد حقه .

وقد يكون طبيعيا أن يرتبط الشعر عند هؤلاء بالأخلاق على النحو الذي رأيناه لأنهم ينتمون إلى حركة إصلاحية سلفية من أهم مبادئها الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة ، غير أن هذه النظرة تطرفت بعض الشيء حين قصرت نظرها على الجانب الاجتماعي والديني، دون العناية بالشاعر وأحاسيسه ، ودون النظر إلى العمل الشعري من جانبه الجمالي، وهذه النظرة أثرت تأثيرا سلبيا على هذا الشعر وعطلت الجانب الفني فيه.

ليس غريبا أن تكون نظرة الشعراء الجزائريين الإصلاحيين إلى الغزل مثلا استجابة للواقع الذي فرضه ، إن المجتمع في تلك الفترة فرض علينا أن نطرق مواضيع معينة ولذا جاءت أشعارهم توجيهية، تربوية، اجتماعية ...على أن الواجب يقتضي من صاحب الموهبة أن يسخرها لفائدة شعبه، لا لفائدته الخاصة.

لقد عبر أكثر من شاعر جزائري إصلاحي عن هذا الاتجاه بالقول المنظوم، فها هو عبد الحميد بن باديس يقول:

و دع غزلا للغانيات فطالما سلا عن وصال الغانيات نبيل
فديدني الآداب و العلم مقصدي و لازلت في نيل المعالي أجول

ويقول اللقاني بن السائح:

ألا فدع التغزل في غوان فتلك طبيعة المستهترينا
فمن صوت البلاد لنا نداء يكاد المرء أن يسمعه أنينا[1]

ويقول الطيب العقبي:

[1] ينظر :محمد الهادي السنوسي الزاهري . شعراء الجزائر في العصر الحاضر . ج . 1 ص39

دع ذكر سلمى و سعاد و انهض لإصلاح البلاد[1]

وقد امتدت هذه النظرة فاعتنقها بعض الشعراء أيضا في الأربعينات، إبان النضال السياسي، فهذا مفدي زكريا يهاجم دون هوادة أولئك الذين يرتزقون بالشعر وينصرفون عن ميادين النضال إلى ميادين اللهو والغناء المائع لقاء مبلغ مالي ، أو يخدمون به ركاب المستعمر بغية وظيف حكومي، يقول في هذا الشأن:

لهفي على الشعر أضحى عند بعضهم بضاعة ما لها عز و لا شان

هذا يتاجر بالأشعار محترفا و ذاك غايته عز و نيشان

هذي الدعارة في الآداب رائجة بناتها اليوم أشعار و ألحان

فأصبح الشعر خنثى مثل قائله لا الشعر شعر و لا الفنان فنان

و كل شعب غدا بالشعر مرتزقا فحظه من حياة العز خسران[2]

وفضل أحمد سحنون أداء رسالته الإصلاحية في شعر الوعظ والإرشاد وتوجيه الشباب الجديد، فكان يخاطب المعلم بهذه الأبيات الحية المتفائلة بمستقبل الوطن والأمة ، يقول في هذا الشأن:

هات من نشء الحمى خير عتاد و ادخرهم لغد جند جهاد

---

[1] مجلة الأثر ، العدد 20 ، جوان 2014 ، ص 83

[2] 20 ص . م 1965 . تونس . النشر دار . الزيتون ظلال تحت : ديوان . ينظر . الشابي ذكرى في القصيدة تليت

هات نشئا صالحا يبني العلا و يفك الضاد من أسر الأعادي

هاته جندا قويا باسلا إن دجى خطب يكن أول فاد

لا تضق ذرعا و لا تهلك أسى أمة الضاد ستحظى بالمراد[1]

وباللهجة المتفائلة نفسها خاطب أحمد سحنون التلميذ الذي رمز به إلى الجيل الجديد الذي رفع راية الجهاد في النهاية وقاد الثورة، فهو يخاطب التلميذ قائلا:

لك في كل حشا نبع وداد يا رجاء الضاد يا ذخر البلاد

شعبك الموثق لم يبق له من عتاد فلتكن خير عتاد

لج الاستعمار في طغيانه كل يوم منه ألوان و اضطهاد

دينك الإسلام في أوطانه ناله المكروه من أيدي الأعادي

و ليكن حاديك تحرير الحمى إن تحرير الحمى للحر حاد[2]

إن إنكار فن المديح، أو الرثاء، أو الهجاء، أو الغزل، كما بيناه على مدار الشواهد الشعرية السالفة الذكر لم يكن، حسبما يبدو، تحولا عن غرض شعري تقليدي لدافع فني، أو استجابة لرؤية جمالية، وإنما جاء استجابة لدافع موضوعي أملته الظروف الخارجية وفرضه الواقع الاجتماعي والسياسي، آية ذلك أن هؤلاء الشعراء أنفسهم حين انتقدوا هذه الأغراض لم ينصرفوا عنها، وإنما استخدموها فيما يحسبونه إصلاحا وطنيا ، صنيع محمد السعيد الزاهر ي في مطلع قصيدته التي يقول فيها:

إذا كان عشق في المها و هيام فلي في بلادي دونهن غرام[1]

---

[1] مجلة الأثر ، العدد 20 ، جوان 2014 ، ص 77

[2] المرجع نسه ، ص 79

[1] مجلة الأثر ، العدد 20 ، المرجع السابق ، ص 80

والعجيب في الأمر أننا نجد هذه النظرة حتى عند أولئك الشعراء الذين أدركوا أن الشعر يجب أن يخضع للأحاسيس الداخلية للشاعر، فهم ما لبثوا أن وقعوا في تناقض غريب عندما حددوا مجال الشاعرية أمام الشاعر، ووضعوا له مناطق نفوذ يجب عليه ألا يتخطاها، فتتغلب هذه النظرة مثلا على شاعر معروف بنزعته التجديدية ،واتجاهه الرومنسي، مثل رمضان حمود ويستجيب لدعوة الإصلاح ونظراته المتزمتة، قبل استجابته لدعوة التجديد ، فينصح الشعراء قائلا

" و من يحب الغزل، فليتغزل في وطنه الجميل ورؤيته المتفتحة "

إن انسياق الشعراء الجزائريين الإصلاحيين وراء هذه النظرة، قد يكون استجابة طبيعية لواقع اجتماعي وسياسي كانوا يعيشونه، فقد كانت تلك الظروف تتطلب منهم أن يسخر الشعر في سبيل النهوض بالبلاد، ويستخدم سلاحا بيد الشاعر إلى جانب سلاح الخطيب في المسجد، والمعلم في الكتاب، والصحفي في الجريدة، ولكن المبالغة في تحكم النظرة الأخلاقية في الفن جنت على الشعر الجزائري ولا سيما في عهد الإصلاح، فحرمته من إبداعات الشعر الذاتي لأن " الناظر في النقد العربي القديم لا يجد فيه ما يشير إلى اعتناق النقاد العاطفي، وفي هذه النظرة تطرف واضح لأن لذلك المذهب التعليمي الذي يربط الشعر بغايات أخلاقية محددة " [1]

وخلاصة القول، إن نظرة شعراء الإصلاح في الجزائر إلى الشعر وماهيته ظلت مرتبطة بالمفهوم التقليدي المعروف عند النقاد العرب القدماء .ولكن نظرتهم إلى وظيفة الشعر، ودور الشاعر في الحياة والمجتمع جاءت استجابة لواقع سياسي واجتماعي مفروض، مما جعلهم يغلبون النظرة إلى المضمون على حساب الشكل، فهم في إلحاحهم على دور الشعر الإصلاحي والنضالي لم ينظروا إلى الشاعر على أنه إنسان مبدع له عواطفه الذاتية وإحساسه المرهف، وتلك نظرة كان لها أثرها الواضح في الإنتاج الشعري ، إذ حدد من مجالاته ، وأنقص من قيمته الفنية والجمالية .

---

[1] رمضان حمود . بذور الحياة . ص107

الفصل الأول الحركة الإصلاحية في الجزائر

المبحث الأول:

حالة الجزائر سياسيا و اجتماعيا:

❖ سياسيا:

بلغ تعسف الحكم العسكري في الجزائر ذروته، و لكن هذا التعسف مختبئا تحت اسم الطوارئ. لقد جند أبناء الجزائر إجباريا، و هذا ما ولد مضاعفات فكرية و سياسية انبثقت من نفوس المجندين عنوة.

" لقد تأرجح العامل السياسي في مستهل القرن بين حبلين سياسي و عسكري، و كان في السابق مشدودا فقط إلى حبل عسكري موتور. و هذا التأرجح هو الذي ولد الذبذبات المختلفة في كل المجالات. فالجانب السياسي الذي أعطى لنفسه مسحة من التغاضي و إرخاء الزمام ، و أسلوب التودد و لو بالوعود الكاذبة، أعطى الفرصة لأنتعاس الأمل، و توثب بعض الحركات ثقافيا و سياسيا،برهن فى مواطن على أنه أذكى من المستعمر في استغلال التغاضي و إرخاء الزْمام" [1].

ذلك التودد لكن الهدف منه التجنيد الإجباري و تغاضي ١لاستعمار عن تسرب بعض المقالات من المشرق إلى الصحافة الجزائرية لم يكن لوجه **الله** و إنما لجلب عواطف الجزائريين و إظهار فرنسا كحامية للإسلام و مهما تكن البواعث فان سياسة

[1] صالح خرفي ، الشعر الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، سنة 1984 ، ص 19

التودد و الوعود المعسولة و التغاضي قد فجرت بعض المكامن و دعمت بعض المواقف، فنشطت الصحافة و توطدت علاقاتها بأحداث المشرق في تلك الفترة الحاسمة و انتعش الطموح لنيل الحقوق، و ترددت المطالب الجزائرية على باريس و تطورت التجمعات الوطنية إلى التنظيم الحزبي السياسي بقيادة الأمير خالد الهاشمي" [1]

كان لهذه الحرب ضريبة دموية. فما تقاضته هذه الحرب من أبناء الجزائر كان "حجة الجزائر على المستعمر كلما ازور عن حقوق الشعب و كان الألفي

جزائر ى صرعوا في الميادين. أثر و أي أم في لهجة التخاطب بين المواطن و المستعمر' [2]. و قد جسد هذا الاتجاه الأمير خالد بتجربته السياسية و استطاعت مقالاته التي كتبها في جريدة الأقدام [3] أن تولد شحنة وطنية لطالما كانت كامنة في نفوس الجزائريين، حيث عاش الفكر الجزائري حينها من الدهر عنى رصيدها بالرغم من قصر أيام التجربة.

هذا النشاط الوطني كان وليد السياسة الفرنسية المراوغة و العدوانية حيث

[1] صالح خرفي ، الشعر الجزائري الحديث ، ص 19
[2] المرجع نفسه ، ص 25
[3] الأقدام ، جريدة باللسانين العربي والفرنسي ، صدرة عام 1919

" تخرجت على خداعه نخبة من أبناء الجزائر تثقفوا ثقافة فرنسية فرأوا في الحضارة الفرنسية أقصى ما يمكن أن يحلم **به المرء** للجرائر، فتقطعت **أعناقهم** تطلعا **إليها** ، و **طلبوها بجنسهم** و **دينهم فنادوا بالتجنيس** و استعجلوا الإدماج" [1].

كانت الإدارة الفرنسية تقف وراء هذه النخبة و تناهض الاتجاهات الوطنية التي تقوم على ذات الصعيد كاتجاه الأمير خالد، و استخدمت أتباعها بمثابة السلاح لمقاومة هذه الاتجاهات ونجد في هذا المضمار جريدة التقدم للدكتور بلقاسم التهامي ، والتي كانت معاصرة ومشابهة لجريدة الأقدام في لسانها العربي والفرنسي[2]. مثلما استفادت الاتجاهات السياسية من الحالة السائدة آنداك، الاتجاهات الفكرية و الدينية رفعت الشعارات السياسية حماية لغايتها البعيدة " ففيها انتعشت مشاريع الإصلاح الديني و الفكري و تطلعاته، و من الوعود و المبادئ استمد حججه و شعاراته و باسم الديمقراطية طالب بحرية الاجتماع . و التفكير و النشر..."[3].

---

[1] الأقدام ، جريدة باللسانين العربي والفرنسي ، صدرة عام 1919 ، ص 28

[2] المرجع السابق ، ص 29

[3] صالح خرفي ، الشعر الجزائري الحديث ، ص 20 - 21

فالحركة الإصلاحية بزعامة عبد الحميد بن باديس و إن بدت في نشاطها العملي لأول عهده أبعد ما تكون عن التورط في الجدل السياسي و التفرغ للنهوض بالشباب نهضة عملية صحيحة.

" و بالشعب نهضة دينية إصلاحية ، و بالرغم من ذلك فان مجلة الشهاب لم تتردد في طرح بعض الشعارات التي تتشدق الإدارة الفرنسية بحمايتها و الانتصار لها، تبنتها المجلة لسان الحركة الإصلاحية و سحرتها لتغطية نواياها البعيدة"[1].

و نشرت فى ديباجة مجلة الشهاب مقال تحت عنوان" نحن و السياسة" نلمس من خلاله أن الحركة الإصلاحية كانت بعيدة عن السياسة لكن الأيام أثبتت أن الحركة لم يغب عن بالها السياسة ، و هذا جزء من المقال" نحن و السياسة الجزائرية ، ليس لنا من سياسة إلا سياسة الفرنسيون الديمقراطية البحتة، التي أثبتت على الحرية و الأخوة"[2].

و إذا اتجهنا إلى المجال السياسي في الثلاثينات فإننا نجد مولد أبرز الأحزاب السياسية و معترك وجهات النظر المختلفة في الحل الذي تتطلبه القضية الوطنية، و استطاع هذا الصراع أن يجد له نوعا من التقارب السلمي في المؤتمر الإسلامي العام 1936 .و كان المؤتمر الإسلامي أشبه بتصفية أخرى و مراجعة شاملة لسياسة حسن الضن" [3].

ولكن سياسة حسن الضن سرعا نما فشلت وحولت مجرى الأحداث كلها

---

[1] صالح خرفي ، الشعر الجزائري الحديث ، ص 29
[2] المرجع نفسه ، ص 30
[3] المرجع نفسه ، ص 24 - 25

الى وجهة جديدة بعد الحرب العالمية الثانية، تخرج الجزائر بعد انقضاء سنوات الحرب العالمية الثانية " مثخنة الجراح طعينة المشاعر جامحة المطامح، في إنصاف ضريبة الدم التي جوزيت بالنكران"[1]

فحاول الشعب الجزائري تجاوز مأساته و يعبر عن آماله من خلال مظاهرات 08 ماي 1945 ،وما جاء من المستعمر من سياسة دامية كان بمثابة نقطة تحول في تاريخ الجزائر الحديثة. ثم تأتي ثورة نوفمبر أدهشت العالم كما أدهشت الأدب. غير أن الدهشة لم تتملك الشعب الجزائري باعتباره هو مفجرها.

أما الشعر الجزائري فانه اتسم في الأيام الأولى للثورة بما يشبه الذهول فإن الفرق واضح بين الموقفين، ذهول المفاجئة أو هدوء التوقع [2].

هكذا كانت حالة الجزائر سياسا قبل الاستقلال.

---

[1] المرجع السابق ، ص 26

[2] المرجع نفسه ، ص 29

❖ **اجتماعيا**

أما الحالة الاجتماعية فى الجزائر في هذه الفترة، نجدها لا تقل عنفا و ضراوة عن الحالة السياسية ، هذا لأن احتلال فرنسا للحرائر بدأ بالاحتلال العسكري لكن غايته كانت الأستعمار الاقتصادي ، و هذا ما صرح به في عبارة بيجو المشهورة؛" احتلال الجزائر بالسيف و المحراث، السيف فى رقاب العرب و المحراث فى يد المستعمر" [1]

الوجه الاجتماعي كان أكثر ترجمة لنوايا المستعمر، كانت فرنسا تبين الأحكام و القوانين الصارمة في كل منطقة تستولي عليها، قوانينها هذه كانت زجرية تخدم مصالحها و نواياها، و من جهة أخرى ترمي إلى إغراق المواطن في بؤس و شقاء " قسمت البلاد إلى عمالات و مقاطعات فرنسية، فالعامل في كل عمالة يتبع رأسا وزير الداخلية بباريس، و للوالي العام عليه حق الإشراف ليس غير، و في إدارة كل عمالة جيش من الموظفين لا وجود للمسلم بينهم "[2]

[1] صالح خرفي ، الشعر الجزائري الحديث ، ص 15

[2] محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص 325

دخل المجتمع الجزائري جراء الضرائب المفروضة و الغرامات و انتزاع أراضيه بالقوة في فقر و بؤس و أمراض و أوبئة .

في بداية العشرينات هدّد كيان الأمة الجزائرية بالزوال هذا لأنها زيادة عنى تعرضها لكل مظاهر الجهل و الفقر و البطالة، هذه التي أتعبت كاهلها " أصبحت فريسة لإقطاع استعماري ينهب الأرض و إقطاع ديني يستنزف عقول الشعب بالتعاون مع المستعمر" [1].

و من قوانين الأستعمار الزجرية أنه خنق الرسالة الدينية التي كانت تمارسها المساجد، فاخمد الحياة الفكرية و شل نشاطها، و في المقابل فتح الحانات و شجع المجون، لهذا وجد الشباب الجزائري نفسه مرتميا في أحضان الانحرافات الخلقية " و ذلك أحد المصيرين اللازمين للمواطن الجزائري، تصعيد المأساة في انحراف ديني و شعوذة صوفية أو في انحراف خلقي و عربدة بوهيمية " .[2]

[1] الوناس شعباني ، تطور الشعر الجزائري منذ سنة ، 1945 الى 1980 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ص 17

[2] صالح خرفي ، الشعر الجزائري ، ص 37

و هنا نجد محمد الهادي السنوسي و هو متنكر للسياسة العدوانية الطاعنة في القيم و التقاليد يصف هذا الاستعمار " كما تجيء الأمراض الوافدة، تحمل الموت و أسباب الموت و ١الاستعمار سم يحارب أسباب المناعة في الجسم الصحيح، و هو في هذا الوطن قد أدار قوانينه على نسخ الأحكام الإسلامية و عبث بحرمة المعابد و حارب الإيمان بالإلحاد و الفضائل بحماية الرذائل، و التعليم بإنشاء الأمية ،و البيان العربي لهذه البلبلة، التي لا يستقيم معها تعبير و لا تفكير" [1].

و بقي وضع الجزائريين يسوء يوما بعد يوم حتى أصبحت حياتهم تعادل حياة الدابة، و مثلما استولى الاستعمار على ما فوق الأرض سيطر على ما تحتها فأثرت معادن القطر الجزائري بشركاته و عادت عليها بالأرباح، فكانت المعامل كلها فرنسية، و انعدمت الحركات الصناعية في البلاد لكي لا تزاحم المعامل الفرنسية، مما أدى إلى تدهور التجارة الجزائرية تحتكرها فرنسا تبتاع مواد القطر الجزائري الخام و تبيعه ما تحتاج إليه مما تنتجه معاملها، و الجزائريون لا وجود لهم في هذا كله، و العامل الجزائري كان يعمل كثيرا و يربح قليلا فبقدر ما تزداد ثروة الأوروبيين بقدر ذلك يزداد فقر الجزائريين"[2].

[1] صالح خرفي ، الشعر الجزائري الحديث ن ص 40
[2] محمد طمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، ص 325

حقق ١الاستعمار أهدافه بعد أن هد كيان المجتمع الجزائري و ألحقه من الآفات،لو تسلّطت آفة واحدة منها على أمة كبيرة لزعزعتها، فكان الجهل و الفقر و الفرقة.

" فالجهل أفقدها الشعور بوجودها، الفقر أقعدها عن العمل، و شل أعضاءها عن الحركة ، و الافتراق أذاب قوتها و ذهب بريحها فبقيت في ذلك النوم المطبق نتيجة طبيعية لتلك الحالة المحزنة التي جر إليها الظلم و الاستبداد"[1].

عاشت الأمة الجزائرية في هذه الفترة حالة المرض المزمن. جراء سياسة تفقير الأهالي و القضاء عليهم بالطمع الاقتصادي المغلف بالطموح السياسي كان إذا وراء الاحتلال، فالبلاد مليئة بالمغريات المادية، و خيراتها البكر، كانت في انتظار اليد القديرة الطماعة، كما أن موقعها الجغرافي أهلها لدور تجاري كبير، لذلك كان موضع تعليق الخبراء و الاقتصاديين و اهتمامهم منذ سنة 1830م، وخصوصا الفرنسيين المتمسكين بالمصالح و المكاسب الإقتصادية و التجارية"[2]

هذا يعنى أن هدف فرنسا كان أبعد بكثير من محاولة نشر حضارته فى الجزائر، هذه المأساة أحيت بعض الضمائر و هزت الشعور القومي، فاصطبغت

[1] صالح خرفي ، الشعر الجزائري الحديث ، ص 40
[2] نور سلمان ، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير ، ص 31 -32

الصحافة فى هذه الفترة بالأحوال الاجتماعية، و كادت تصبح صحافة اجتماعية بالدرجة الأولى، بذلت كل جهود الإصلاح للتقليل من هذه التعاسة، حيث أسست الجمعيات الخيرية و أنشأت المدارس الحرة و افتتحت النوادي الثقافية لمكافحة البؤس و التشرد و انتشال الشباب من الضياع و الانحراف و كما اصطبغت الصحافة بالواقع الاجتماعي المأساوي وجه الأديب أيضا قلمه ليجسد أبعاد هذه المأساة و يهدم كل مخططات **المستعمر** التي فتتت المقاومات الذاتية للشخصية الجزائرية [1].

[1] المرجع السابق ، ص 38 – 39

المبحث الثاني : حالة الجزائر دينيا و فكريا .

❖ دينيا

سعى الاحتلال الفرنسي إلى تجهيل الأمة الجزائرية، حيث حاول استبدال دينها بدين آخر حسب ميوله و رغباته، هدفه في ذلك تخدير الشعب بالطقوس و البدع، فأصبحت عقيدة الجزائر بذلك مشوهة من براءتها الحقيقية، غير قادرة على القيام بدوره الحفاظي الذي كانت تسعى إليه، و بالتالي و صلت الحياة الدينية و الفكرية الجزائرية إلى حالة خطيرة و حساسة.' لقد كانت فرنسا تبرز احتلالها للجزائر بأن لها رساله تحضير و تثقيف الشعب الجزائري، و نحن نقول

أن رسالة فرنسا التمدينية تتمثل فى نشر الجهل بين الجزائريين "[1]

هذا لأن الطرقات امتلأت بضحايا الأمية، هذه الأخيرة التي دفعت الشباب إلى مزاولة بعض الأعمال التي كانت أقل بكثير من المستوى الذي يستحقون مثل العمل في الحقول و مسح الأحذية، كل هذا كان بدافع إفتاء العنصر الإسلامي و تجريد الشعب في قوميته، فلقد تم إلغاء المدارس و المعاهد العربية التي كانت منبع العلم و الثقافة.

و لم تقف سياسة التجهيل عند هذا الحد بل تطاولت يد المستعمر إلى المساجد التي كانت مقرا للعبادة و العلم، فاستولت عليها حتى يتسنى لها القضاء على اللغة العربية"[2] .

---

[1] الوناس شعباني ، تطور الشعر الجزائري مند سنة 1945 حتى 1980 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ص 11

[2] المرجع نفسه ، ص 12

من الواضح أن هدف الاستعمار الفرنسي كان أرخص بكثير من أن ينشر حضارة

حسب ما زعم هذا لأن شغله الشاغل هو سلب أفكار الشعب و تزوير تاريخيه، و بما أن الغزو الفكري كان قوى العتاد وجدت الشخصية الجزائرية نفسها ضعيفة أمامه فاختلال التوازن بين الطرفين أدى إلى تحجر الحركة الفكرية الجزائرية فقد تشتت كل الجهود العقلية المنتجة و تشدد الأدباء و الشعراء و شغل الناس عن الأدب و الشعر و لم يعد من همهم التعبير الجميل لأن ذلك لن يغنيهم عن النار التي يتلظون بها، لذلك ساد الركود و الجمود و حركة الأدب "[1].

كما أنه في هذه الفترة تفشت الطرقية و التمثل و توجه ديني و عقائدى خاص، ويصورها لنا فى حقيقتها الدينية أحمد توفيق المدني فيقول؛"و آل أمر الكثير من هذه الزوايا و الطرق إلى إحداث وثنية في الإسلام. ما أنزل اللة بها من سلطان، و أصبح شيخ الطرقية و المرابط في كثير من النواحي **يتصف** بأوصاف الربوبية، و هدا يعني أنه هو الذي يعطي و يمنع، يقبض و يبسط، وبفضله يأتي الخير و يلحق الشر و نتيجة لهدا انتشرت الخرافات التي شوهت الدين الحنيف.

" الأوضاع الطرقية بدعة لم يعرفها السلف، ومبناها كلها عن اللغو في الشيع و التحيز لأتباع الشيخ ، وخدمة دار الشيخ و أولاد الشيخ إلى ما هناك من استغلال وإذلال و إعانة لأهل الإذلال و الاستغلال"[2].

[1] المرجع السابق ، ص 12
[2] صالح خرفي الشعر الجزائري الحديث ، ص 19

حاول الاستعمار طمس الثقافة الجزائرية، و تبديل شخصيتها، كما حاول غزو عقول الجزائريين، بثقافته، ولاشك في أن الاستعمار كان الأقوى،فاستطاع أن يحقق الكثير من أهدافه، فخلق فراغا قافيا في **صفوف** عامة الشعب و اضطرابا شتت **صفوف** المتعلمين، ولم يبق من معالم التراث سوى معلم الدين و القرآن و المدائح و هو الشاعر الشعبي [1] بمعنى أن المحتل حاول غرس بذور دخيلة فى عقول الجزائريين مستعملا فى ذلك أقوى الوسائل و هذا ما حقق له غايته هذه.

إلى جانب كل هذا اعتبر المستعمر المساجد و الزوايا مراكز يهدد و جودها استقراره لأنها تغدي عقول قاصديها، نكرها الأجنبي فأغلقها الواحدة تلو الأخرى، وحارب ١الاستعمار اللغة العربية فجعلها اللغة الثانية، بعدما فرضت الفرنسية كلغة رسمية، و هدفها من هذا فرنسة الثقافة الجزائرية و تجلت محاولات إضعاف اللغة العربية و إبعاد مناخها عن الحياة الجزائرية في نشر التعليم بالفرنسية وتشجيع الاتصال بالحضارة الأوروبية بواسطة الكتب و الصحف [2].

ولكن على الرغم من ذلك نجد نخبة من الجزائريين كان لهم الحظ في أخد ثقافة ذات مستوى، لكن هدا كان مرتبط بمسايرة هذه النخبة للمستعمر، كما أن و ضعها المالي و الاجتماعي سمح لها بالتعليم و التحصيل العاليين لكن المستعمر أدرك أن تعليم الجزائريين سيشكل له أخطار سياسية و مادية لدلك بذل أقصى جهوده لإلغاء و الحد من التعليم.

[1] نور سلمان ، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير ، ص 525
[2] المرجع نفسه ، ص 53

"إن الغزو الثقافي الأجنبي كان يطغى غالب الأحيان على محاولات التثقيف و التنويرالوطنية و المحلية لأسباب سياسة و مادية " [1].

ظهرت عدة إرهاصات تبشر بحياة دينية و فكرية جديدة حيث قامت الطبقة المثقفة لتواجه هذا الظلم من خلا ل تشكيل جمعيات و مدارس حرة وجرائد وطنية،ومن

الجمعيات تشكلت جمعية نجم شمال إفريقيا التي قاومت الاستعمار في الخارج.

وجد المصلحون في كل أنحاء الجزائر وسيلتهم للاتصال بالأمة فأقروا في أعماقها

ما يردون، فظهرت بعناية فى سنة 1894 أول صحفية عربية هى جريدة الحق، وأيضا جريدة الفاروق 1913 وفي سنة 1925 صدرت في قسنطينة (المنتقد) رئيس تحريرها عبد الحميد ابن باديس أصدر بعدها الشهاب، وكان تأثير هذه الجرائد واضحا في مجال الإصلاح الديني و التحرر الفكري.

وأيضا ما قامت به جمعية العلماء المسلمين بفضل زعيمها بن باديس استأصل كل الأباطيل من جذورها "حيث حاربت أنصار الاستعمار و قاومت وحطمت البدع و الضلالات الدينية التي استغلها العدو و أي استغلال تحت ستار الطرقية، ونشطت في توجيه السياسة توجيها عربيا إسلاميا.

[1] المرجع السابق ، ص 61

أتى ابن باديس ليألف من الشعب ما عجزت عنه الأيدي المهزوزة و يفجر فيه ْما اقتصرت عنه العقول المتحجرة. اتخذ أعضاء جمعية العلماء المسلمين **موقف** المتنكر الرافض لسياسة فرنسا، وتقريراتهم أكبر دليل على هذا التنكر، قال ابن باديس سنة 1939 :"والله لو طلبت مني فرنسا أن أقول لا إله إلا الله ما قلتها".

كذلك البشير الإبراهيمي جاء في تقرير له مايلي؛" إن الوطن أمانة الإسلام في أعناقنا و وديعة العرب في ذممنا، فمن بعض حقه علينا أن نحفظ دينه من الضياع أن نحفظ لسانه من الانحراف.

و هكذا واجه المواطن الجزائري محاولا ت التحهيل و طمس اللغة وتراثها، بتمسكه بالحضارة الإسلامية و مقوماتها الروحية و تشبثه باللغة العربية و إن كان يجهلها ولم يكن التحام القتال بالفكر مفاجئا بل نتيجة لتراكم الخيبات المشحونة بالمرارة التي مر بها المفكرون و الوطنيون .

المبحث الثالث : بوادر الإصلاح في الوطن العربي ·

لا نزاع في أن الوطن أول صيحة ارتفعت في العالم الإسلامي بلزوم الإصلاح الديني و العلمي في الجيل السابق لجيلنا هي صيحة إمام المصلحين الإمام الشيخ محمد عبده . وانه اندئ الأئمة المصلحين صوتا وأبعدهم صميما في عالم الإصلاح فلقد جاهر بالحقيقة المرة، وجهر بدعوة المسلمين في مشارق الأرض و مغاربها إلى الرجوع إلى الدين ، " إن علة العلل في سقوط المسلمين و تأخرهم بين الأمم انحطاطهم عن تلك المكانة التي كانت لهم في سالف الزمن هي بعدهم عن ذلك الهدي الروحاني الأعلى و أنه لا يرجى لهم فلاح في الدنيا و في الآخرة ولا صلاح حال يشبع المال و عزة جانب ترد عنهم عادية الغاصبين من الأجانب إلا إذ راجعوا بصائرهم و استرجعو ا ذلك الهدي الذي لم يغصبه منهم غاصب ، وإنما هجروه عن طوع أشبه بالكره، و اختيار أشبه بالاضطرار فباؤوا بآلمهانة و الصغار ،و الضعة والخسار " [1].

كانت تلك الصيحة الداوية من فم ذلك المصلح العظيم صيحة لأذان المتربصيين بالإسلام و الأذان الحامدين من العلماء، و جموا لها و ملكتهم غشية الذهول علما منهم أي أول أثارها إذ تطلعت في النفوس هو قطع الطريق على المتربصين و كان الأستاذ الإمام أعجوبة الأعاجيب في الألمعية و بعد النظر و عمق التفكير و حدة النظر و استتارة

[1] آثار محمد البشير الابراهيمي ، جمع وتقديم نجلة الدكتور أحمد طالب الابراهيمي ، الجزء الأول ، دار الغرب الاسلامي ، ط 1 ، سنة 1977 ، ص 177

البصيرة و سرعة الاستنتاج و الأستشقاق ، حكيم بكلما تؤديه هذه الكلمة من معنى منقطع النظير في صدق الإلهام و سداد الفهم، و صدق العزيمة، و خصب القريحة. و بالجملة، فالرجل فذ من الأفذاذ الذين لا تكونهم الدراسات و إن دقت، و لا تخرجهم المدارس و إن ترقت، و إنما تقذف بهم قدرة الله إلى هذا الوجود و تبرزهم حكمته في فترات متطاولة من الزمن على **حين** انتكاس الفطرة، و انطماس الحقيقة، فيكون وجودهم رحمة **الله** بعباده و حجة للكمال على النقص، و إصلاحا شاملا و خيرا عميما، لقول الشاعر:

هيهات لا يأتي الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل

و بعد موت الإمام حمل لواء الإصلاح تلميذه الأكبر و وارث علومه السيد محمد رشيد رضا، و قد كان في حياة الإمام ترجمان أفكاره و حمل بعد موته أعباء الإصلاح حين نكل عن حملها أقوام، و استقل بتسيير سفينته فكان الربان الماهر و أقام على مبادئ أستاذه وفيا لها حيث أصدر التفسير على منهاج الإمام، و جمع تاريخ حياة الإمام، وأنشأ مجلة المنار التي تقوم على **دروس** الإمام في التفسير و فتاوى كان ينشرها في أمهات العقائد و الأحكام على ذلك النحو العجيب من الاستقلال، و أحدث انقلابا فكريا في فهم الدين و صلته بالدنيا، و ألف المؤلفات، و نشر من مؤلفات المصلحين من القدماء مازاد به الإصلاح الحاضر تمكينا و رسوخا، و ساهم في الإصلاح العلمي و الديني و الإصلاح السياسي لقومه و بني وطنه[1].

[1] المرجع السابق ، ص 179

و عاش ما عاش إلى أن لحق بربه راضيا مرضيا في هذا العام، فشعر العالم الإسلامي بأن خسارته فيه لا تعوض كيف لا و هو في بناء الإصلاح الركن و الدعامة، و في هيكل الإصلاح الرأس و الهامة[1].

[1] المرجع السابق ، 179

المبحث الرابع : نشوء الحركة الإصلاحية في الجزائر

لا يطلق لفظ حركة في العرف العصري العام إلا على كل مبدأ تعتنقه جماعة وتتساند لنصرته و نشره و الدعاية و العمل له عن عقيدة، وتهيئ له نظاما محددا و خطة مرسومة و غاية مقصودة، وبهذا الاعتبار، فإن الحركة الإصلاحية لم تنشأ في الجزائر إلا بعد الحرب العالمية" [1]، و التأثير الأكبر في تكوينها على هذه الصورة يرجع في الحقيقة إلى سند الأدلة الكونية التي اقتضاها تدبير الاجتماع و يرجع إلى الأعمال الأتية .

أولا: نوازع جزئية أحدثها في النفوس المستعدة والأحاديث المتناقلة في الأوساط العلمية عن الإمام عبده من خصومه الممعنين في سبه و لعنه، فكانت تلك الأحاديث تفعل فعلها فى النفوس المتبرمة من الحاضر و المستشرفة إلى تبدل بما هو خير وتكييفها تكييفا جديدا فإذا علمت أن منشأ ذلك دعوته إلى القرآن لما فعلت ذلك [2]، و أيضا قراءة المنار و اطلاع بعض الناس على كتب المصلحين ككتب ابن تيمية و ابن القيم و الشوكاني.

ثانيا: الثورة التعليمية التي أحدثها الأستاذ عبد الحميد بن باديس بدروسه الحية و التربية الصحيحة و التعاليم الحقة التي كان يثبتها في نفوسهم الطاهرة و الإعداد البعيد

[1] المرجع السابق ، ص 181
[2] المرجع نفسه ص 181

المدى الذي كان يغذي به أرواحهم، فما كادت تنقضي المدة حتى كان الفوج الأول من تلاميذ بن باديس مستكمل الفكر و العقل،و معظم هؤلأء التلاميذ ذهبوا لطلب العلم من جامع الزيتونة ،ليكملوا معلوماتهم على الأساس العلمي الصحيح،و رجعت تلك الطائفة إلى الجزائرفكانوا جنود الإصلاح اليوم وقادته،و أسلحته النافذة.

ثالثا: التطور الفكري الفجائى الذي خرج به الجمهور من ثمرات الحرب العظمى ومن آثار ذلك التطور انحطاط قيمة المقدمات الوهمية في نظر كثير من الناس.

رابعا: عودة فئة من أبناء الجزائر المخلصين من الحجاز مهد الإسلام الأول و منبت الدعوة إلى الحق ومبعث الإصلاح الإنساني العام، بعد أن تلقوا العلم هناك بفكرة إصلاحية ناضجة [1].

[1] المرجع السابق ، ص 182

المبحث الخامس : محمد الهادي السنوسي وجهوده في الإصلاح :

إن الإصلاح –كما يفهمه المسلمون الصادقون لا كما يروج أعداء الإسلام- هو الغاية من إرسال الله تعالى الرسل إلى الناس، قال شعيب لقومه الغارقين في الضلال و الفساد في العقيدة و الملوك. قال:" يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى و رزقني منه رزقا حسنا، و ما أريد أن أخالفكم إلى ما نهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت و ما توفيقي إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب"[1].

و يصطلح بمهمة الإصلاح لشؤون البشر- بعد مصلح الإنسانية الأعظم محمد صلوات الله عليه و سلامه- و خلفائه الراشدين- علماء الأمة الإسلامية، عملا بما قاله رسول الله صلى الله عليه و سلم فيما رواه أبو داود و الترمذي و غيرهما ؛ "العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا و لا درهما، إنما ورثوا العلم، فمن أخد به أخد بحظ وافر" [2].

و الإصلاح الديني المنشود هو عمل وقائي و علاجي، أي مهمة الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و هى أمانة فى ذمة المؤمنين ما دامت السموات و الأرض، قال تعالى:" و المؤمنون و المؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و يطيعون **الله** و رسوله، أولئك سيرحمهم **الله** إن الله عزيز حكيم"[3].و معنى هذه الأية الكريمة الجامعة أن الإصلاح و قبول الإصلاح على كل مؤْمن و مؤْمنة [4].

لكن قيادة العمل الإصلاحي للجماعات و الشعوب و الأمم لا يتولاه إلا من أوتي

---

[1] سورة هود ، الآية 88

[2] شرح السنة للبغوي ، الجزء الأول ، ص 276

[3] سورة التوبة ، الآية 71

[4] آثار الابراهيمي ، الجزء الثاني ، ط 1 ، دار الغرب الاسلامي ، ص 08

الأمانة و الكفاءة أسوة بما جاء في القرآن الكريم على لسان يوسف عليه السلام، إذ رشح نفسه ليتحمل مسؤولية شؤون المالية و الاقتصاد بأرض مصر بعد أن أحس بتقدير الملك لمواهبه [1].

قال عز و جل " و قال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي، فلما كلّمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين، قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم" .[2]

❖ الإصلاح و جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

لم يكتب أحد عن الإصلاح الديني و الاجتماعي بعد الإمامين المصلحين جمال الدين الأفغاني و محمد عبده و العالم السوري الشيخ عبد القادر المغربي، فيما سجله في كتابه "البينات" الصادر في القاهرة سنة 1925– أبلغ و أشمل و أعمق مما كتبه أستاذنا الإمام الإبراهيمي فى وثيقة قدمها فى المؤتمر الخامس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بنادي الترقي بالعاصمة في سبتمبر 1935.

حيث تناول فيها بالتفصيل تاريخ الإصلاح الديني و الاجتماعي فى الجزائر و المشرق و المغرب و سجل بتحليل عميق أدواء الجزائر و الأمة الإسلامية

قاطبة في شتى المجالات الفكرية و الدينية و الاجتماعية و الاقتصادية و

[1] المرجع السابق ،ص 08
[2] سورة يوسف ، الآية 54 - 55

السياسية فارجع كل تلك الأدواء إلى "علة العلل" فيما حل بالأمة الإسلامية من تخلف و تيه و تفرق و ضعف و استكانة و استغلال و احتلال، فيقول : " كيف يشقى المسلمون و عندهم القرآن الذي أسعد سلفهم؟ أم كيف يتفرقون و يضلون و عندهم الكتاب الذي جمع أولهم على التقوى؟ فلو أنهم اتبعوا القرآن و أقاموا القرآن لما سخر منهم الزمان و أنزلهم منزلة الضعة و الهوان، و لكن الأولين آمنوا فأمنوا و اتبعوا فارتفعوا و نحن.. .فها قد آمنا إيمانا معلولا و اتبعنا إتباعا مدخولا و كل يجني عواقب ما زرع"[1].

❖في الإصلاح الديني :

أولى أعضاء جمعية العلماء المسلمين لإصلاح الجانب الديني أهمية بالغة حيث تناول الباحث فيها الحديث عن أمور الدين و فرائضه، كما تحدث عن التربية الإسلامية، التي تعتني بالفرد و سلوكه و أخلاقه و رغباته و ميوله فتوجهه الوجهة الصالحة التي تكفل له السعادة في الدنيا و الراحة في الآخرة، و تجعل منه عضوا ناقعا في المجتمع يعرف ماله و ما عليه، فالدين الإسلامي دين و دنيا .

و على هذا الأساس كان اهتمام محمد الهادي السنوسي منصبا على المقالة الصحفية الإصلاحية بشكل كبير، و قد دعى لربط الأقوال و الأعمال و تطبيق المبادئ الدينية في الحياة، فلقيت ترحابا كبيرا من طرف الجزائريين [2]

حاول محمد الهادي السنوسي الكشف عن البدع و الضلالات التي انتشرت في المجتمع الجزائري باسم الدين و تخضع العاملين على زرعها و تنميتها بين الناس

[1] آثار الابراهيمي ، الجزء الثاني ، ص 09
[2] عبد الملك مرتاض ، فنون النثر الأدبي المعاصر في الجزائر ، 1925 ، 1945 ، ص 33

متسترين تحت جناح الدين و في هذا الصدد يقول أحد أعضاء الجمعية:" أما و الله لو أنهم اجتمعوا و تدامروا و شنوها—كما شنناها— غارة شعواء على البدع و الضلالات التي مهدت للإخلال و فساد الأخلاق بين المسلمين، و مكنت للضعف و الخور في نفوسهم، و للوهن و الفشل في عزائمهم...و للرثاثة و النكث في روابطهم... لو فعلوا ذلك لأعادوا للإسلام قوته و كماله و نصرته و جماله و للمسلمين مكانهم في البشر و ملكانهم في التاريخ"[1]-

فمنهج محمد الهادي السنوسي في الإصلاح عامة يعتمد على الهدم و البناء أي هدم الرذيلة و بناء للفضيلة، هدم الخرافات و البدع و العودة الى الحقيقة و الأصول و بناء على الأساس المتين،شأنه في ذلك شأن جميع أعضاء جمعية العلماء المسلمين، و يمكن القول أن غاية الإصلاح الديني عند الهادي السنوسي تستهدف صحوة الضمير و العقل، و تدعو إلى إتباع الطريق الصحيح في الدين، و بذلك تتحقق صحوة إسلامية متكاملة أيضا.

[1] آثار الابراهيمي ، الجزء الثالث ، دار الغرب الاسلامي ، ط 1 ، 1997 ، ص 311

❖**في الإصلاح الاجتماعي :**

يقول الإبر اهيمي:" من أراد أن يخدم هذه الأمة فليقرأها كما يقرأ الكتاب ،وليدرسها كما يدرس الحقائق العلمية، فإذا استقام له العمل و أمن الخطأ فيه و ضمن النجاح و التمام له، فإن تصدّى لأي عمل يمس الأمة من غير درس لاتجاهها...إنني جربت و درست و إنّني قرأت هذه الأمة **و** فهمتها[1]**.**

هكذا كان محمد الهادي السنوسي ينظر إلى الإصلاح، إصلاح هذه الأمة، نظرة منهجية موضوعية و علمية بعيدة كل البعد عن التفكير السطحي و البسيط.

إن هذا الإصلاح الذي يقصده الهادي السنوسي كوسيلة فعالة لخدمة الأمة، نابعا من الواقع و معتمدا في تحليله على الحقائق العلمية و الفكر العلمي الصحيح، و التطلع من خلاله للحاضر و المستقبل و لقد بدأ العمل في وسط متعفن يسوده مستنقع من الآفات الاجتماعية و العادات و المعتقدات الفاسدة "ما لو تمادى و امتد لأتى على الأمة من القواعد و قضى عليها بالمسح، أولا و التلاشي أخيرا[2].

عليه كانت جهود محمد الهادي السنوسي في هذا المجال تجسد طبيعة ظروف المجتمع الجزائري حيث يصفا الداء **و** يعطي بعد أن يتغلغل في أعماق هذا المجتمع و ينفذ إلى المنابع الأساسية للقضايا التي يتناولها لاستئصال أسباب الفساد، و من أبرز

[1] الموسوعة الفكرية ، اعداد مؤسسة البحوث والمشاريع الاسلامية ، المجلد الأول ، ط2 ، 1980 ، مؤسسة الرسالة سوريا ، ص 48
[2] البشير الابراهيمي ، من مشاكلنا الاجتماعية ، عيون البصائر ، ص 323

القضايا التي عالجها السنوسي البناء الأسري كقضية الزواج و تحديد الصداق و قضية الطلاق حيث دعا إلى الزواج المبكر حتى؛" لا يضيع على الجنسين ربيع الحياة، و سماته و أزهاره و بهجته، و قوته، و يضيع على الأمة نبات ذلك الربيع و شر الخصب و النماء و الزكاة فيه، ثم تضيع بسبب ذلك أخلاق و أعراض و أموال..." [1].

فهو يرى أن الشباب لا يمكن أن يخدم وطنه إلا بالدّود في أسرته و أولاده و عرضه و في هذا تدريب على المسؤو لية حيث يقول أحد أعضاء الجمعية:" أيها الشباب، إنكم لتخدمون وطنكم و أمتكم بأشرف من أن تتزوجوا، فيصبح لكم عرض تدافعون عنه، و زوجات تحامون عنهن، و أولاد يوسعون الأمال، هناك تتدربون على المسؤوليات، و تشعرون بها، و تعظم الحياة في أعينكمو بذلك تزداد القومية قوة في نفوسكم [2].

و أيضا تعرّض إلى احدى العوائق التي تقف مانعا أما م زواج الشباب و هي المغالاة في المهور، لقد لكن ينتقد كشرا أولئك الاباء الدين يغالون في مهور بناتهم حيث قال:" و لو أننا وقفنا عند حدود الله ، و يسرنا ما عسرته العوائد من أمور الزواج لما وقعنا في هذه المشكلة، و لكننا عسرنا اليسير، في مسألة خطيرة كهذه، فأصبح الزواج الذي جعله الله سكنا و ألفة و رحمة - سبيلا للقلق و البلاء و الشقاء، و أصبح اللقاء الذي جعله الله عمارة بيت و بناء أسرة-خرابا لبيتين بما فرضته العوائد من مغالاة في المهور وتفنن في النفقات و المعازم"[3].

و بادراك محمد الهادي السنوسي بخطورة هذا الوضع كتب، و وعظ و نادى من خلال أشعاره و خطبه المرشدة و المقالات الطوال، و ساهم بحانب تطبيقي عملي و تنظيمي .

---

[1] المصدر السابق ، ص 315 - 323

[2] عيون البصائر ، مقال الشبان والزواج ، ص 319

[3] المصدر نفسه ، ص 317

المبحث السادس : محمد الهادي السنوسي واللغة العربية

إن الشيخ الهادي السنوسي قبل أن يكون مفكرا مصلحا و سياسيا محنكا، لكن أديبا شاعرا، و خطيبا، وعالما فقيها فى اللغة العربية، خبيرا بأسرارها متظللا فى آدابها و فنونها، إلى جانب علمه بالتفسير و بالحديث و علومه بالفقه و أصوله و انتاجاته الغزيرة و آثاره الكثيرة التي تشهد بحق أنه مدرسة كاملة و قائمة بنفسها و كما كان ينعته كبار الأدباء العرب و المفكرين ، فكان رجل ميدان أكثر منه رجل تأليف و تصنيف ، و كان ديونا لأيام العرب و آدابهم و تقاليدهم، في أفراحهم و أحزانهم، في حربهم و سلمهم يروي عن فهم و بصيرة و يصدر عن محافظة واعية، و ذاكرة مجندة، و كان الى جانب ذلك فحلا من فحول الشعر، يذكرك بالمعري ، و أبى الطيب في حكمه و أمثاله[1] .

ولم يدخل التاريخ لحظة ليسجل من حروف من ذهب لمحمد الهادي السنوسي كفاحه الطويل و نضاله العسير فى مسالك وعرة ليست بالشيء الهين و لا اليسير فى خدمة اللغة العربية، التي تعتبر قضية الشعب الجزائري السياسية ألا و هي قضية الشخصية العربية الاسلامية لهذا الشعب العربي المسلم، فكان يحث في أشعاره و مقالاته بالخصوص على التعمق في دراسة اللغة العربية لأن لغة الفرد تمثل ذاته و تاريخه و أصله و كرامته، و ضمان وجوده و بقائه فأي شكل من أشكال التفريط فهو تفريط في الكرامة و العزة و انسلاخ عن الهوية، فالذي

[1] محمد البشير الابراهيمي ، عيون البصائر ، ص 27

يتكلم غير لغته من دون ضرورة أو مناسبة فكذلك الشأن فى خليقته و عقيدته و هو ما هو حاليا و **نحن** فى القرن الواحد و العشرين على بعض أبناء جلدتنا من الجزائر في بعثاتهم الدبلوماسية و هم يتكلمون بغير لغتهم، حتى أصبحت هده الدول لا تحضر مترجمين أو تفكر في ذلك مع الجزائريين، كونهم يعلمون أنهم يتكلمون بغير **لسانهم** و أيضا نعيب على باحثينا تهاونهم و عدم إحساسهم بالمسؤولية المنوطة إليهم في هدا المجال، و هو النهوض بعملية التعريب و دفع عجلتها إلى الأمام ، فاللغة العربية منذ دخلت في ركاب الإسلام على الأمم التي أظلها ظله لكنت سببا في تقارب تفكيرهم و تشابه عقلياتهم ، و تمازج أذواقهم ، و توحيد مشاربهم و لأن هذا لمن المناهج السديدة في توحيد الأمم المختلفة، و لولا العربية لاختلفت الأمم الإسلامية في فهم حقائق الدين باختلاف العقليات [1].

كما أن موضوع العروبة و العربية هو الشغل الشاغل لذهن محمد الهادي السنوسي، فالعربية لغة علم و حضارة، فاللغة من الحضارة كاللسان من البدن عضو كالأعضاء، فالعربية وحدها استطاعت أن تقوم ببناء حضارة شامخة البنيان و لم تستعر من اللغات الأخرى إلا قليلا [2].

[1] محمد مهداوي ، الشيخ البشير الابراهيمي ، نظاله وأدبه ، دار الفكر ، دمشق ، ص 52

[2] المرجع السابق ، ص 52

و الشاعر عندما يعمد إلى تبيان عظمة اللغة العربية و قدرتها على استيعاب العلوم القديمة و الحديثة و شمولها فهو يريد بذلك أن يرد عنى الدين ينقصون من قيمتها، و هو من أبناء العرب العاقلين الذين يشايعون بجهلهم و انحراف أمزجتهم العربية، و عليه لو لم تكن العربية مدنية و عمران، و لو لم تكن لغة متسعة الأفاق، غنية بالمفردات و التراكيب لما استطاع أسلافكم أن ينقلوا إليها علوم اليونان و الهند...

و لو لم تكن العربية لغة عالمية لما وسعت علوم العالم و معالمها و نظمها الاجتماعية و آدابها، فوسعت الفلسفة بجميع فروعها و الرياضيات بجميع أصنافها و الطب و الهندسة و الآداب و الاجتماع و هذه العلوم التي تقوّم الحضارة العقلية في الأمم الغابرة و الحاضرة...

و قد تفطن أسلافنا فنقلوا العلم و لم ينتقلوا إليه.. .و لولا العربية لضاع على العالم الخير الكثير، إن كثيرا من العلوم التي بنيت عليها الحضارة الغربية، لم تصلها إلا عن طريق اللغة العربية بإجماع الباحثين منّا و منهم ، و إن المنصفين منهم ليعترفون للغة العربية بهذا الفضل على العالم و المدينة، و أنهم يعمدون للدهر أن لهم مجاورة المسلمين بالأندلس و صقلية و شمال إفريقيا و ثغور الشام حتى أخذوا عنهم ما أخذوا، و اقتبسوا عنهم ما اقتبسوا، و لا يزال هؤلاء المنصفون يذكرون فضل معاهد الأندلس العربية، و معاهد شمال إفريقيا و معاهد الشام على الحضارة القائمة[57] .

[57] المرجع السابق ، ص 53

و تعتبر اللغة العربية هى اللغة الوحيدة و الفريدة التي تتميز بصفات تميزها عن غيرها من اللغات كالمرونة و المطاوعة و الاستيعاب، و هو ما ذهب إليه الشيخ محمد الخضر حسين؛ **"**تتلقى اللغة العربية ما يرد عليها من الألسنة الأحرى، و تقبله بقبول حسن، بعد تنقيحه. و سبكه في قالب عربي **"**.

إن حماسة محمد الهادي السنوسي للغة العربية و دفاعه عنها و أخذه نفسه بالكتابة بما يدخل في هذا المنظور الاصطلاحي الوطني و الذي كان ينظر من خلاله إلى اللغة العربية في الجزائر على أنها من أقوى الدعائم و الركائز الضرورية و الجوهرية التي ينبغي على الجزائريين أن يبنوا نهضتهم عليها كما أن اعتناءه و اهتمامه باللغة العربية يتجلى من خلال تنشيطه للدروس و المحاضرات بلغة عربية فصيحة ، و التي كان يرمى من ورائها إلى غرضين : "أحدهما إلى إقامة الدليل للمتعلمين باللغات الأجنبية على أن الفصحى لا تعيا بحمل المعاني مهما علت و تنوعت، و أنها تمد اللغات فى ميادين التعبير عن الحقائق و الخيالات و الخواطر و التصورات و الغرض الثاني أن أحدث في نفوس العامة المحبين للعلم و الدين أسفا يقض مضاجعهم فيدعوهم إلى تدارك ما فاتهم منها في أبنائهم كما يهدف إلى تبسيط العربية الفصحى و تكسب جمهورا علميا يفهم العربية الفصحى بالسماع كما يفهم الفرنسية بالسماع "[58].

الفصل الثاني الخطاب الإصلاحي عند محمد الهادي السنوسي

[58] آثار الشيخ البشير الابراهيمي ، الجزء الأول ، دار الغرب الاسلامي ، ط1 ، 1997 ، ص 75

المبحث الأول: مفهوم الخطاب الإصلاحي عند محمد الهادي السنوسي

قبل الولوج إلى تحليل مضامين خطاب السنوسي في الفصول التالية، رأينا أنه من الأولى، ومما تستدعيه المنهجية، التطرق إلى مفهوم هذا الخطاب ومستوياته ووسائله (قنواته) ثم صوره (وهي الأشكال الأسلوبية التي جاء عليها) وقبل هذا نتطرق إلى مفهوم الخطاب والخطاب الإصلاحي لغة واصطلاحا.

مفهوم الخطاب:

أولا: لغة:

هو مأخوذ من الفعل " خطب، يخطب، خطابا "بمعنى حدث الناس وألقى عليهم كلاما، ويقال؛ " خاطب الناس " أي وجه إليهم خطابا شفاهيا أو مكتوبا، ومنه " الخطب " أي الأمر الجليل وسمي بذلك لكثرة التخاطب فيه، ومنه "الخطبة " التي يراد بها إقناع الناس، ومنه كذلك؛ " الخطبة " أي طلب المرأة للزواج

[1]

[1]- ابن منظور ، لسان العرب " مادة خطب " ، الجزء الأول ، ت ح عبد الله علي الكبير وآخرون ، دار المعارف ، مصر ، د ت ، ص 1194 – 1195

.

ومن هنا نرى بأن مادة " خطب " في كل اشتقاقايها تفيد توجيه الكلام إلى الأخر قصد إقناعه أو تبليغه بأمر ما.

ثانيا: اصطلاحا:

كلمة خطاب هي ترجمة للكلمة الفرنسية " Discours " اليونانية الأصل " Discourus " وفعلها " Discourure " والذي يعني الجري هنا وهناك، كما أن كلمة خطاب تعبر عن الجدل " Dialectique " والعقل والنظام " Logos " وهو ما نجده عند أفلاطون، والأفلاطونية عموما [60] .

كما أن هذه الكلمة ترجمت إلى العربية بمفردات مثل؛ المقال، الحديث، النص ،الخطاب، فالترجمات القديمة نسبيا استعملت كلمة " مقال " بدل خطاب كما في الموسوعة الفلسفية العربية، لعلي حرب، وكما في ترجمة كتاب ديكارت؛ " مقال في المنهج " بدل من " خطاب في المنهج " .

وعموما فإن كلمة خطاب يتفرد بها كتاب المغرب العربي على عكس كتاب

المشرق، وهي شائعة في الدراسات الأيديولوجية أكثر منها في الدراسات العلمية والفلسفية، ولكن ليس معنى هذا أن كتاب المشرق لم يستعملوا كلمة خطاب مطلقا،

1- [60] زواوي بغورة ، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2000 ، ص 89 - 90

فهناك مثلا؛ محمد حافظ ذئاب في كتابه " سيد قطب، الخطاب والإيديولوجيا " ويشير صاحب الموسوعة الفلسفية ــ المذكور أعلاه ــ إلى أن مصطلح " الخطاب " قد تبناه ملتقى ابن رشيق بالجزائر (ماي 1980) ثم شاع في الأدبيات الحديثة، أفضل من كلمتي " حديث " أو " مقال "[1].

ويعرف " جميل صليبا " المقال الذي هو مرادف اصطلاحا للخطاب بأنه " الكلام، والرأي، والمعتقد، وهو عملية عقلية منظمة تنظيما منطقيا، مركبة من سلسلة من العمليات العقلية الجزئية أو تعبير عن فكرة بواسطة سلسلة من الألفاظ أو القضايا التي ترتبط بعضها ببعض [2].

نلاحظ هنا أن عملية التحديد والحصر لتعريف الخطاب أو المقال ــ حسب صليبا لا تعدو أن تكون عملية تعريف لجزء من الخطاب، وهو الكلام، وتعريفه هذا يوافق ما ذهب إليه النحويين في تعريفهم للكلام بأنه " اللفظ المركب المفيد بالوضع... "[3]وهو ما عبر عنه صليبا بأنه " عملية عقلية مركبة من سلسلة من العمليات العقلية الجزئية ".

بينما يرى " لميل بنفست " أن كلمة خطاب تعني؛ " كل نطق يفترض قائلا، ومخاطبا وأن تتوافر لدى الأول نية التأثير بوجه ما في الأخر " من هنا نلاحظ أن "

---

[1] زواوي بغورة ، المرجع السابق ، ص 87 - 88

[2] جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج 2 ، الشركة العالمية للكتاب ، 1997 ن ص 204

[3] محمد بن داود الصنهاجي ، متن الأجرمية في النحو ، ط 2 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، 2002 ، ص 5

بنفست " يرسم لنا عملية الخطاب في خطاطة تتمثل في المخاطب، الرسالة (الكلام) والمخاطب، ويضيف ركيزة أساسية في الخطاب وهي نية التأثير في الأخر، وهو ما عبر عنه بأنه " طفو كيان (الأنا) الذي يتجلى دوما بوضع فعال حيال (أنت)، ثم يقرر بأنه يمكن أن تنقلب صورة هذه الخطاطة من جراء علاقة الحوار، حيث يتجاوب بالضرورة ال- (أنا) وال (أنت)[1] وهو أمر لا يتحقق إلا في الخطابات الشفاهية أما في الخطابات المكتوبة العلاقات تكون دائما ثابتة ".

❖ مفهوم الإصلاح:

- لغة:

مادة " اصلاح " مشتقة من الفعل " أصلح، وصلّح، وصلح " وكلها تدل على تغيير حالة الفساد، أي إزالة الفساد عن الشيء، ويقال أيضا هذا يصلح لك أي؛ يوافقك ويحسن بك "، ويقال كذلك؛ " صالح لكذا " أي؛ فيه أهلية للقيام به، وبصفة عامة " الصلاح ضد الفساد "[1].

ومنه كذلك اصلاح الأراضي، الذي يعني تحويل الأرض الجدباء إلى منتجة، ومنه أيضا الإصلاح الزراعي، الذي يعني توزيع المواد الزراعية في دولة ما، أو إعادة توزيع الأراضي، كما يشمل التغيرات المتعلقة بها بما في ذلك القروض والضرائب، والإيجار

---

[1] محمد أركون ، الفكر العربي ، ت ر عادل العوا ، ط 3 ، منشورات عويدات بيروت ، لبنان ، 1985 ، ص 34 35

[1] محمد طهاري ، مفهوم الاصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، ط 2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1992 ، ص 11

والتعاونيات [2].

- اصطلاحا:

مفهوم الإصلاح متعلق بالظاهرة الدينية، وبالثورة الدينية التي قامت في أوربا الغربية في القرن ــ 16م، وبدأت في شكل حركة إصلاحية في الكنيسة الكاثوليكية ولكنها تحولت إلى حركة عقائدية عرفت بالبروتستانتية[3].

أما فيما يتعلق بالفكر الإسلامي فإن هذا المفهوم منتشر جدا في الثقافة الإسلامية الحديثة، ويجد مكانة جيدة في النص القرآني، حيث الحقل الدلالي واسع جدا، ومن الاستعمالات القرآنية المختلفة التي يمكن احصاؤها للفظ " أصلح " ما يفيد معنى الصلح وما يفيد القيام بعمل صالح ، أما المصلحون فهم بهذا المعنى، من يقومون بعمل الصلح، وبإصلاح أحوال الناس .[4]

ومن هذه النصوص قوله تعالى؛ " قال يا قوم أ رأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا، وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب "[1]

فالإصلاح الذي تعنيه هذه الآية من " إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت " هو

---

[2] محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية اليسرة ، م ج 1 ، ط 2 ، دار الجيل بيروت ، لبنان ، 2001 ، ص230 - 231

[3] المرجع السابق ، ص 230

[4] (1)Encyclopédie del'islam (ISLAM). Maison neuve et larousse. Paris. 1978. T4. P 147.

[1] سورة هود ، الآية 88

الإصلاح العام (أي ليس لي من المقاصد.الخاصة بي وحدي شيء بحسب استطاعتي)[2].

فعليه فمفهوم الإصلاح " ليس غريبا على التقليد الأورتوذكسي الإسلامي، فالقرآن ساهم في المقام الأول في تعميم فكرة الإصلاح داخل الجماعة المسلمة، من خلال مجموعة من الآيات، وحتى الأحاديث النبوية ساهمت في ذلك التعميم، شأن الحديث الشهير الذي يرويه أبو هريرة ـــ رضي الله عنه " أن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد للأمة أمر دينها " [3].

وهكذا يضرب الإصلاح بجذوره في المنابع الأولى للإسلام (الوحي

والسنة) إذ أن هذه المرجعية الأصولية ، هي التي تؤسس إجرائية وشرعية الفعل الاصلاحي المتداول في الفكر الإسلامي المعاصر، وتجعل منه فعلا منهجيا يهدف إلى تصويب صورة الحاضر على مثال الماضي (الأصل) بل وشحنه بطابع الديمومة والاستمرار في حياة الجماعة الإسلامية وثقافتها [1].

---

[2] عبد الرحمن ابن ناصر السعدي ، تيسير الكريم في تفسير كلام المنان ، ويليه القواعد الحسان لتفسير القرآن ، ط 2 ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 2002 ، ص 268

[3] [4] Ali Merad: Le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940. 2ème ed. les éditions El-Hikma. Alger. 1999. P 51.

[1] encyclopédie de l' islam. Op. cit. P 147

فهذه النظرة تتزع بالتاريخ نزعة ارتدادية، فتحصره في حيزين؛ حيز التاريخ المقدس، وهو زمن الوحي، وعصر الصحابة حيث كان سلوك أغلبية المسلمين يكاد يكون خاضعا للقوانين التي نزل بها الوحي وتضمنها القرآن والسنة، ثم تصرفات المسلمين اليومية، وتعاملهم مع كافة شؤون الحياة والدين.

وحيز ثاني، هو التاريخ المدنس، هو ما خرج عن حيز التاريخ الأول، والتباين بينهما واضح، فالأول رمز المجتمع الكامل في التصور الديني، ونموذج للإسلام الصحيح الذي أخرج في أحسن صورة، و ماعداه فهو انحراف ونزول إلى حد الجهل والارتداد[2] .

ومن هنا اكتسبت الدعوة إلى الرجوع إلى منبع الشرعية لتجعلها طموحا مثاليا، بل مطلبا واقعيا للسمو بالمجتمع إلى المنابع الصافية وجعله على صورة

مجتمع الوحي، وهو ما دفع بأصحاب هذه الدعوةإلى الدعوة لتحرير الدين من

[2] الباجي القمرتي؛ الاجتهاد وعلاقته بالخطاب الديني المعاصر. ط1. الدار التونسية للنشر. تونس. 1993. ص 46. وينظر كذلك محمد الصالح الهرماسي. مقارنة في إشكالية الهوية. المغرب العربي المعاصر . دار الفكر. دمشق. سوريا. 2001. ، ص 81

الخرافات والبدع، وذلك بمحاولة التوفيق بين العقل والنص [1]، وهذا ما اصطلح عليه بالاجتهاد، وهو الركيزة الأساسية في دعوة الإصلاح الشاملة.

ومما تقدم نفهم أن الخطاب الإصلاحي هو كل كلام موجه، سواء أكان شفاها أو مكتوبا، قصد التأثير في الناس وحثهم على التغيير بالعودة بالدين والمجتمع إلى الأصل تمثلا بمجتمع الوحي في جميع مناحيه، ووقوفا عند قوله تعالى؛ " إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت " [2].

❖مستويات الخطاب الإصلاحي عند الهادي السنوسي:

لقد فهم السنوسي شمولية الدعوة إلى الإصلاح ـــ بمفهومها القرآني الواسع ـــ وعدم الاقتصار على نوع من الإصلاح بعينه دون آخر، فجاءت منظومته الشعرية تمس جوانب عديدة من الدين والحياة.

وقد سمح لنا الكم المتوفر لدينا من خطاباته المكتوبة ـــ طبعا ـــ أن نؤلف منها أربعة تفريعات خطابية إصلاحية، تصورناها كما يلي :

ـــ خطاب إصلاحي ديني.

---

[2] 1 عبد الله ألركيبي؛ الشعر الديني الجزائري الحديث. ط1 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. 1981. ص38.

[2] سورة هود الآية 88

- خطاب إصلاحي اجتماعي.
- خطابا إصلاحي سياسي.
- خطاب إصلاحي عروبي وحدوي.

وهنا لا ندعي امتلاك ناصية كل الخطابات التي تركها السنوسي ، بل شكلنا هذه التفريعات من النصوص التي بين أيدينا، ثم إن هذا التحديد ما هو إلا حل لإحداث توازن بين كل خطاب وآخر لتستقيم خطة الموضوع لا أكثر .

المبحث الثاني: وسائل الخطاب عند الهادي السنوسي :

لقد تنوعت وسائل الإصلاح ، بحسب تنوع المخاطبين ومستوياتهم واستعداداتهم الثقافية والنفسية... وحتى أماكن تواجدهم، فقد تكون الوسيلة خطبة أو محاضرة أو درس في المسجد أو نادي لعامة الناس باختلاف أفهامهم.

وقد تكون الوسيلة صحفية أو كتابا موجه لنوع معين من القراء (وهم لمحاب الميول لتلك الصحف) إلا أن ما نستطيع حصره هنا هو الوسائل المكتوبة في الصحف والكتب.

❖الوسيلة الأولى

- النشاط الصحفي :

يتضح من بعض المصادر التي أمكننا الاطلاع عليها أن السنوسي قد استهل نشاطه الصحافي في مدينة بسكرة في منتصف العقد الثاني من القرن العشرين بعد أن أصدر ابن باديس جريدتيه: المنتقد، والشهاب سنة 1925[1] ، فأصبح السنوسي واحدًا من المُحررين بهما، كما عين ممثلا ومراسلا لهما مثلما يذكر الأستاذ فوزي مصمودي في كتابه المتميز تاريخ الصحافة والصحفيين في بسكرة وإقليمها كما كان يقوم إلى جانب ذلك بالتجوال في أرجاء البلاد لفائدتهما، معرفا بأهدافهما، داعيا إلى ما يدعوان إليه من نهضة وتحرر، وإصلاح ووطنية وقد كان ينشر قصائده بهما باسم " شاعر المنتقد" وكذا مختلف المقالات الأدبية؛

[1] بوعمران الشيخ وآخرون، معجم مشاهير المغاربة ، جامعة الجزائر، 1995 ، ص 89

وكمثال لذلك يمكن أن نقرأ له في العدد الخامس من جريدة المنتقد مقال بعنوان " الإحساس والشعور". وهو مقال أدبي جاء بأسلوب صحافي عادي رغم أن السنوسي حاول أن يصفي عليه بعض المسحات التأملية والفلسفية، ثم توالت بعد ذلك مقالاته وقصائده المنشورة في مختلف جرائد ومجلات ذلك الوقت حيث " نشر في جريدة العلم المغربية، وكتب في البصائر، والصراط السوي وفي جريدة السنة، ووادي ميزاب، والأمة، وبمجلة هنا الجزائر التي كانت تصدر عن الإذاعة الجزائرية خلال الاحتلال..." [1] .

وكان أعلى منصب صحفي تولاه السنوسي هو رئاسته لتحرير جريدة القبس سنة 1952 وهذا بداية من العدد الرابع-العدد الأخير لها- ويمكن أن نقرأ في هذا العدد اشارة إلى القصيدة التي أرسلها السنوسي لمجلة العلم المغربية والتي نالت المرتبة الثانية في هذا المجال ، وقد قدم السنوسي وصفا دقيقا لهذا الاحتفال الأدبي الذي شهده المغرب ، أما بعد الاستقلال فقل انتاجه الصحافي؛ فنشر قصائده ومقالاته بأسبوعية الجماهير في العدد الخامس منها الصادر سنة1963، كما نشر بمجلة القبس التي كانت تصدرها وزارة الشؤون الدينية بالجزائر سنة1968 .

---

[1] موقع مجلة البصائر العدد: 475 مقال بعنوان أعلام من الجزائر : محمد الهادي السنوسي الزاهري بتاريخ 17-9-1429.من
ttp://www1.albassair.org/modules.php?name=News&file=article&sid=729

كما أن السنوسي اشتغل في ميدان صحافي آخر هو ميدان الصحافة المسموعة بالإذاعة، حيث كانت له خلال فترة الاحتلال عدة برامج بها منها

" البرنامج الأدبي" الذي كان يبث مساء كل سبت ابتدءا من الساعة الحادية عشر ليلا وهذا في خمسينيات القرن الماضي مثلما ذكر هذا الشيخ محمد خير الدين في مذكراته ، وبرامج أخرى أدبية أيضا بعد الاستقلال.

- النشاط الإبداعي :

كان محمد الهادي السنوسي ناثرا بامتياز وقد أشرنا لبعض هذا حين تكلمنا عن السنوسي الصحافي، ومن أهم الفنون النثرية التي برع فيها السنوسي نذكر فن الخطابة التي كان فيها السنوسي مثلما يقول الدكتور محمد بن سمينة "خطيبًا مصقعًا، قوي الشخصية، دامغ الحُجة، صادق الشعور، عميق الأفكار، بليغ العبارة، يرتجل الخطبة فيُجيد في اختيار معانيها، ويسمو في تدبيج صياغتها، مما جعل مُعظم خُطبه تتنزّل المترلة الحسنة من قلوب المتلقين[1]. "

وكذلك فن المقالة؛ فقد جرب كتابة المقالة الإصلاحية والاجتماعية والوطنية

[1] المرجع السابق ، العدد 475

و"كان في هذه المضامين جميعها كاتباً بليغاً يتعمق الفكرة، ويملك ناصية البيان، وإن من يقرأ مقالاته يظفر فيها بما يُغذي قلبه من أفكار، وبما يمتع حسّه من جمال" . مثلما يذكر الدكتور محمد بن سمينة،وقد أشرنا لعدد من مقالاته حين تكلمنا عن السنوسي الصحافي .

- النشاط الشعري :

بدأ السنوسي قرض الشعر في المراحل العمرية الأولى له أيام كان طالبا بقسنطينة بمعهد الشيخ ابن باديس؛وقد تحدث هو ذاته عن هذا في كتابه شعراء

الجزائر في العصر الحاضر عن بداية تعاطيه قرضَ الشعر، فذكر أن "ذلك يعود إلى أيّام الطلب في مجالس الإمام ابن باديس، إذ كان الإمام يُشجّع طُلاّبَه على تعاطي الخطابة ونظم الشعر، فكان يُعطيهم بعض الأبيات من شعر الفحول، ثم يطلب منهم تشطيرها أو تخميسها، ثم ينظر في صَنيعهم، فيجَازي المُجدين منهم" ، ومن هذه البدايات تدرج السنوسي في هذا الطريق إلى أن أجاد هذه الصنعة، فشارك بنتاجه في معظم ما تناوله شُعراء جِيله من قصائد إصلاحية واجتماعية ، وطنية وقومية، ذاتية وإنسانية.

نظم على الموزون المقفى وجدّد في موضوعاته، وجاء أكثرها في الموضوع الوطني، وفيه امتزاج بين الفخر والحماسة، والحث على النهوض للذود عن الوطن مذكرًا بالأيام العربية الأولى، يقول في قصيدة الشهيد [1]

ولدي فقدتكَ والحياةَ جميعَها في من فقدْتُ

يا ليتني لما احتضنتكَ للوداع هناك متّ
لم أنسَ وقفتَنا الرهيبةَ إذ أغالبُ ما كتمت
وجوانحي نارٌ يراق على جوانبهِنِّ زيت
الواجباتُ ملحّةٌ وحنانُ قلبي لا يبتّ
غالبت في سِرّي قضاءَ الله، لكنّي غُلبت
حقّقتُ فيك بناظري فنظرتُ فيك وما نظرت
ذهب التأمُّل بي وفي الغَمَرات في الغاباتِ غِبت
وتصوّرتْ لي وحشة الظُلمات والبينُ المشتّ [2]

[1] نشرت بمجلة (القبس) ، السنة 3 ، الجزء 1 ، في العدد 6 ، ص 57 – 58 في محرم 1388 ، مارس 1968

[2] عبد الحميد غنام ، محمد الهادي السنوسي الزاهري ، حياته وشعره ، منشورات السائحي ، ط 1 ، 2007 ، ص 410

أما قصيدته روحي إليكم [1]فهي سير على منوال شعراء الفخر حيث يقول فيه :

تلك الأماني اللامعاتُ بُروقا
ألفَتْ فؤادًا لا يزال خفوقا
سارتْ هبوبًا كالنسيم لطافةً
وزكَتْ بقلبي كوثرًا ورحيقا
يعدو بها حادي الرجاء و لم تكن
عَرْجا لِتُمهلَ أو تملّ طريقا
ولقد توقّف والفؤاد مجدّلٌ
بِيَد الحوادث ذاهلاً مَرْهوقا
تذري عليه من الدموع سواكبًا
حتى ترى فَنَنَ الرجاءِ وَرِيقا
وترفٌّ خافقةً بأجنحةٍ لها
روحٌ تُروِّح عن فؤادي الضِّيقا
وتظلُّ تسقيني السُّلوَّ كأنه
بردٌ على كبدِ الحريق أُريقا [2]

[1] نشرت في كتاب " شعراء الجزائر في العصر الحاضر ج 1 " ص 02 – 04 ، بعنوان " اهداء الكتاب وروحي لكم " .

[2] صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970 ، ص 250

وليس للسنوسي ديوان مطبوع يجمع شعره ،وأغلبية ما كتب من شعر لا يزال مبثوثاً في أحضان الصحف الوطنية، وفي مجلة (هُنا الجزائر) التي كانت تصدرها دار الإذاعة الفرنسية بالجزائر (1952-1962) وكذا في كتابه الشهير (شعراء الجزائر في العصر الحاضر) ، وقد استمر السنوسي ينشط في مختلف هذه الميادين؛ في ميدان الصحافة، وفي مجال الإبداع الأدبي ، إلى أن تعرض لحادث التسمم بالغاز في بيته، فأصيب بالشلل من جراء ذلك ، إلى أن توفي –رحمه الله- ليلة الجمعة 17 رمضان 1394هـ/14 أكتوبر 1974م [1] .

[1] عبد الحميد غنام ، محمد الهادي السنوسي الزاهري ، حياته وشعره ، ص 514

المبحث الثالث : الإصلاح الاجتماعي من خلال عمل الشاعر

ان المتتبع للاتجاه الاصلاحي الاجتماعي خلال الحقبة التاريخية التي بدأ فيها الشاعر الهادي السنوسي انتاجه الشعري يجدها حافلة بالمشاكل المختلفة سواء في ميدان التعليم والتربية أو في ميدان تعليم المرأة أو في المآسي الاجتماعية كالحرمان من الشغل " الذي يأدي الى تشريد أبناء الجزائر وتفقيرهم والتضييق عليهم في جميع المجلات وقد كثرة التحديات البشرية والضلم الجماعي بالحروب الطاحنة أو الاعتداء الفردي على الشخصيات التي لها دور فعال في تغيير مجرى حياة الأمة وتاريخها من بث اليقضة في نفوس ابنائها والتغيير على مستوى الفكري لديها " [1] ومما زاد الوضع تأزما تفاقم الكوارث الطبيعية التي تضاعف المىسي الاجتماعية وتزيدها اتساعا وعمقا كالفياضانات ، والزلازل ، والقحط وغيرها .

أما في مجال التعليم فقصائد الشاعر لا تخلو من الحث على التعليم والبيان شأنه في ذلك شأن بقية شعراء الجزائر أو الشعراء الذين عاصروه ، كما هو الحال كذلك في مقاومة الجهل والدعوة الى العلم فكتابات الشاعر محمد الهادي السنوسي تفيض حساسية ووطنية وحماسا في قضايا الوطن والدين واللغة وهو يركز على الجانب القرآني والتمسك به مادام من وحي الله العالم الخبير بما يصلح لعباده في كل زمان ومكان [2] ، فهنا نجد الشاعر يحث كثيرا ويحض على تعلم لغة القرآن (العربية) وتعليمها ونشرها ، ويبين مزاياها وقدرتها على استيعاب العلوم والمعارف مثل سائر لغات العالم .

---

[1] المرجع السابق ، ص 83

[2] المرجع نفسه ، ص 84 – 85

وفي كتاب " شعراء الجزائر في العصر الحاضر " لم يفرد الشاعر قصيدة بعينها ، فلربما نجده يولي العربية عناية كبيرة في قصائده ، كما سيأتي ذلك خلال هذا البحث ، حيث أن الشاعر اهتم بمن لهم شعور مرهف وحساس ، وهم فئة الأدباء رفاق الفكر والفصاحة والبيان ن والأبيات التالية تعبر عن تصور السنوسي لواجب الأدباء :

يا من هبت بهم فكانو سبقا لم تلف بينهم فتى مسبوقا

في فترة ليل الحياة مطلسم والحر فيه لم يزل مغموقا

(روحي لكم) أما الكتاب أحرى به أن يجتبى ويروقا فانه

منكم تفصل سورا مسبوكا كالتبر زين صدره تعليقا

أنتم رجاء الناهضين وأنتم تلك الاماني اللامعات بروقا[1]

وقد هم محمد الهادي السنوسي بجمع شعر شعراء اللغة العربية السباقين لمثل هذا النداء وإخراجه في كتاب يعد في طليعة الأعمال الكبرى للمحافضة عليها وعلى ابداع القرائح بها [2]

[1] محمد الهادي السنوسي ، شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، ج 1 ، ص 12

[2] عبد الحميد غنام ، محمد الهادي السنوسي ، حياته وشعره ، ص 85

الأمر الذي حفز الى استجابة إخوانه الشعراء في بعث إنتاجهم له يعد شجاعة وتشجيعا ، حيث أن الكتاب لا تخلو بعض القصائد فيه من الإعداد الفكر والحث على الثورة تصريحا أو تلميحا ، وهو أداء للواجب الوطني نحو الجيل الناشئ .

وكان ذلك من خلال بروزه في الكثير من الأعمال والتي نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر " روحي لكم " ، و " نادي الترقي " ، و " هذه الأرض تنادي " " و " ماذا عسى تجدي الدموع " ، و " موطني بالضاد عزة أرضه " [1]

كما كان للمرأة القسط الوافر في أعمال الهادي السنوسي حيث تناول قضية المرأة الجزائرية في خمس قصائد : " الفتاة الجزائرية ، والفتاة الجزائرية المغتصبة أو مأساة وريدة ، وأدب البنت ، الفتاة ، الأم " [2]

فقد تكلم في الأولى عن المرأة خلال العشرينيات في المدن والأرياف ، حيث طالبت وناشدت أولياء أمرها أن يفسحوا لها المجال للتعلم كسائر بنات الأمم الأخرى ، حتى تعرف ما لها وما عليها في دينها ودنياها ، وتشارك في بعث المجد الموءود الذي لا يسترجع إلا بتعليم النشء ، فالشاعر في قصدته " الفتاة الجزائرية " يدعوا الى استكمال تعليم المرأة حيث لا يزال التحاقها به ضعيفا وقال في ذلك :

أحـــــذت تمـــــد الى النـــــهوض لمـــا رأت علـــم الاخـــا معقـــودا الجيـــــــــــــــــــــــــــــدا

---

[1] المرجع السابق ، ص 88

[2] محمد الهادي السنوسي ، شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، ج 1 ، ص 195 – 197

ومشـــت تجـــدد للبنـــات مـــودة نحـــو البـــنين الطـــالبين صـــعودا

أنـــا بنـــات الشـــعب في أميـــة مـــــــلأت رؤوس الناشـــــئات خمـــــــــــــــــــــــــودا

ناشـــدتكم بـــالله والـــرحم الـــتي في الكتـــــب مجـــــد ذكرهـــــا تمجيـــــــــــــــــــــــــدا[3]

أما في ما يخص تربية النشء الصاعد فنجد الشاعر محمد الهادي السنوسي قد تناول ميادين متعددة من الشعر ومن بين ما جدب انتباهه ودقة ملاحظاته شعر التغني بالمناظر الجميلة للبلاد الجزائرية في موضوع " التفاتة إلى الماضي " [1]

وكما هو معلوم أن الشاعر كان تلميذا عند ابن باديس بقسنطينة إحدى المدن الرئيسية الثلاث للجزائر ، وقد بدأ التعليم بمدرسة الشبيبة الإسلامية بالجزائر العاصمة ، وأغلب أبناء المدن حيث المدارس ، هم الذين ينشدون ما يحفظونه أينما وجدوا في المنازل ، و الملاعب ، والشوارع على مختلف مشاربهم ومهنهم أما أهل البوادي فلا وجود للمدارس في منطقهم يتعلمون بها لذلك فهم لا يرددون الا ما يسمعنه من الآباء وهو نابع من أصالة وأفكار الشعب .

---

[3] المصدر نفسه ، ص 195 – 197

[1] عبد الحميد غنام ، محمد الهادي السنوسي الزاهري ، حياته وشعره ، ص 115

ولعل من المستحسن أن تكون البداية في هذه المحفوظات من عنوان " الأرض " وخصبها المستمد بعد عطاء الله من سعي وكد عمالها ووفرة مياهها [وجعلنا من الماء كل شيء حي] [2] . فتهتز وتربو وتنبت من كل زوج ، كما نرى من خلال بعض الأشكال التي اتبعها في نظم شعره والمعروف بالمسمط [3]

أنظر الأرض ووجه الأرض جدب
حين يكسوها بماء المزن خصب

فإذا الأرض رياض وجنان
مبدأ الأشياء في الأكوان ماء فهو حصب
وحياة ونماء كل آن بل وفي كل مكان [1]

ولعل رغبة الشاعر الجامحة في تعليم النشء فأنشأ محفوظات باسم مؤسسات التعليم (المدرسة والمعهد) فالمدرسة تزيل عن النشء كابوس الجهل ومن ذلك ما يلي :

مدرستي مدرستي
أحبـــــــــــها لأنهـــــــــــا قـــــــد علمـــــــتني لغـــــــتي

وعلمـــــــــــتني أدبـــــــــــا وحســـــــــنت لي ســـــــــيرتي

---

[2] سورة الأنبياء ، الآية 30

[3] المسمط : وهو الذي يأتي فيه بأبيات من قافية ثم يأتى بعدها بشطر مقفى بقافية مخالفة . جبور عبد النور (المعجم الأدبي) دار العلم للملايين ، بيروت ن ط 1 ، 1979 ، ص 249

[1] عبد الحميد غنام ، محمد الهادي االسنوسي الزاهري ، حياته وشعره ، ص 118

مدرستي مدرستي

أســـــــــاذها مثـــــــــل أبي أطفالهـــــــــا كـــــــــاخوتي

مدرســـــــــتي في مـــــــــوطني وأهلـــــــــها مـــــــــن أمـــــــــتي

أحفظهـــــــــا لأنهـــــــــا قـــــــد حققـــــــت أمنـــــــيتي[2]

أما عن المعهد فنجده ينظم ما يلي :

يـــــا معهـــــدي يـــــا معهـــــدي بلغـــــت فيـــــك مقصـــــدي

عرفـــــــت فيـــــــك لغـــــــتي ووطـــــــــــني وأمـــــــــــتي

علمتنـــــــــــا أطفـــــــــــالا لنغتـــــــــــدي رجـــــــــــالا

وســـــــــــرة بالبنـــــــــــات لمشـــــــــــروع الحيـــــــــــاة

لكـــــــي يكـــــــن في غـــــــد كالـــــــذر أو كالعســـــــجد

[2] محمد الهادي السنوسي ، كتابي في القراءة العربية ، السنة الثالثة ابتدائي ، ص 11

عـــــدة شـــــعب ووطـــــن في كـــــي عهـــــد وزمـــــن

نحمـــــي حمـــــاك والعلـــــم مـــــن كـــــل مكـــــروه ألم[1]

ومما له مكانة عظمى لدى جميع شعوب العالم ، ويضحون بأنفسهم دفاعا عنه وهو رمز كفاحهم ودليل سيادتهم العلم ، العلم الذي أنشا السنوسي أنشودتين باسمه: الأولى بمطلع " من على الحق من ؟ " في افتخار الجزائريين بخوض المعارك والدفاع حتى الموت اباية وأنفة عن أرضهم ودينهم وعرضهم ومجدهم وجميع حرياتهم ، التي ذكر في مطلعها :

مـــــن علـــــى الحـــــق مـــــن ؟ مثلنـــــــــا في الـــــــــزمن

خـــــــاض شـــــــتى المحـــــــن في حيـــــــــاة الـــــــــوطن

تحت ظل مجد العلم

كلنـــــــــا للنظـــــــــال أو لحســـــــــن الخصـــــــــال

النســـــــــى والرجـــــــــال في حيـــــــــاة الـــــــــوطن

[1] عبد الحميد غنام ، محمد الهادي االسنوسي الزاهري ، حياته وشعره ، ص 123

تحت ظل مجد العلم

قـــــــف ولـــــــب النـــــــدا يـــــا ابـــــن شـــــعب الفـــــدا

واطـــــــو جـــــــيش العـــــــدا في حيـــــــــــاة الـــــــــــوطن

تحت ظل مجد العلم [2]

وقد خص الشاعر العلم الوطني بأنشودة ثانية ، وهذا لغرس التربية الوطنية في نفوس الناشئة من أثر في مستقبل حياتهم من حب الوطن والاستماتة في الذود عن حماه ، وما لاهتزازه من إحساس بمشاعر العظمة والشرف والسيادة ، وما لإشاراته وألوانه من دلالات .

" أليس بياضه دليلا على صفاء قلوب أبنائه ؟ وخضرته رمزا لخصب وطنه، وهلاله ونجمه رمزا للإسلام ، وحمرته رمزا لتضحيات ودماء الشهداء الذين أزاحوا ظلام الاستعمار الدامس ، والذين بدلو أرواحهم الطيبة الطاهرة في سبيل إعلاء كلمة الله واسترجاع السيادة الوطنية من أعدائه المحتلين له " [1]

وقد نظم محمد الهادي السنوسي في حق العلم قصيدة مطلعها :

هـــــــذا العلـــــــم هـــــــزوا العلـــــــم

---

[2] المرجع نفسه ، ص 124

[1] المرجع السابق ، ص 125

فـــــــوق الـــــــربى فـــــــوق القمـــــــم

علـــــــــــى ســـــــــــواعد الهمـــــــــــم

هلالـــــــــــه مـــــــــــاحي الظلـــــــــــم

لكـــــــي تـــــــرى كـــــــل الأمـــــــم

كفاحنـــــــــــــــا في أرضـــــــــــــــنا

لوائنـــــــــــا نحمـــــــــــي حمـــــــــــاه

لا عـــــــــــــــيش إلا في رضـــــــــــــــاه

مـــــــــن خانـــــــــه نـــــــــال الـــــــــردى

ونالـــــــــــــه منّـــــــــــــا العـــــــــــــدم[2]

ومن خلال هذه الأناشيد التي ألفها محمد الهادي سنوسي بصفة إجمالية والتي يظهر من خلالها هدفه الجاد في غرس التربية الدينية ، والخلقية ، والوطنية ، في نفوس الجيل الصاعد على مختلف مشاربه ، " مما يقوي حسه وذوقه بالجمال الطبيعي للوطن الذي يعيش فيه ولعل تجربة السنوسي التعليمية في العهد الاستعماري ، ومقاساته مرارة حرمان أبناء الجزائر منه ، هي التي دفعته إلى الخطاب الإصلاحي التربوي ، الذي يعد أساس قيام أي مجتمع " [1].

وهكذا كان لزرع هذه البدور التربوية في نفوس الشباب الذي توالت عليه مختلف الحقب أثره الفعال ، في تحمل أعباء الثورة المسلحة من جانب ، وجعله وقودا لها من جانب آخر .

---

[2] المرجع نفسه ، ص 125

[1] المرجع السابق ، ص 127

الفصل الثالث: دراسة تطبيقية في قصيدة "روحي لكم" لمحمد الهادي السنوسي

نشرع الآن في تقديم الدراسة التطبيقية على النصوص الشعرية لمحمد الهادي السنوسي ، ونخص بالذكر النص الشعري " روحي لكم " [1].

1-عن الشاعر وميلاد النص: قائل النص هو محمد الهادي السنوسي [1902 – 1947] [2]، من رواد الشعر الجزائري، وقد نشا على ثرى هذا البلد الطيب وترعرع متنقلا ُين ربوع أهله بسكرة إلى قسنطينة إلى الجزائر العاصمة والى أماكن أخرى حيث كان عضوا نشيطا في جمعية العلماء، فعاشر أبناء الشعب، وعاش معهم محنة الاستعمار القاسية، وشاركهم أحزانهم الكثيرة وأفراحهم القليلة وآمالهم العريضة في تحقيق الاستقلال، وهو الشاعر الرقيق ذو الحس المرهف، فانعكس ذلك كله في شعره الذي تشهد به قصائده ومقالاته ومؤلفاته .

و من هذه التجربة القاسية العميقة التي عاشها الشاعر وعاشها معه شعبنا الأبي طيلة المحنة الاستعمارية الطويلة نبعت هذه القصيدة، ومن ظلمة ذلك الليل الحالك انقدحت الشرارة المضيئة فيها منبثة من الروح ومن الذات الجماعية التي لا يعدو الشاعر أن يكون واحدا من أفرادها ولسانا فصيحا يترجم آلامها ، وهذا ما

---

[1] محمد الهادي الزاهري السنوسي ، شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، ج 1 ، ص 61

[2] المصدر نفسه ، ص 05

حفزنا على الكشف عن مستوياته الكثيرة من بنية ، وبنية سطحية ، وبنية عميقة وغم ذلك.

2- على مستوى البنية السطحية للنص: ماذا نلاحظ عند قراءتنا أو سماعنا كلمات النص وجمله المتوالية إلى نهايته ؟

أول ما نلاحظه هو توزع النص في وحدات صوتية لغوية متساوية موقعة وموزونة تدعى الأبيات، والبيت الواحد في هذا النص ينقسم على شطرين متكافئين عروضيا هكذا :

متفاعـــــــــــــــــل متفاعـــــــــــــــــل متفـــــــــــــــــاعلن

متفـــــــــــــــــاعلن متفـــــــــــــــــاعلن متفـــــــــــــــــاعلن[1]

ويدعى " بحر الكامل " غايته أن يضبط إطار الموسيقى الخارجية لمجموع أبيات النص التي تتشكل منها القصيدة، أي ما يقصد الشاعر الى قوله ويجيد إتقان البناء الفني اللغوي وفق ذلك القالب الموسيقى الدقيق لهذا كان الشعر ارفع من النثر لأنه مزيج من الموسيقى الخالصة والكلام الفني.

وهذا الشكل معروف في الأدب العربي منذ القديم حتى أنه لمجرد سماعنا كلمة

[1] عبد الرزاق عبد المطلب ، العروض والقوافي ، دار شريفة ، ط 2 ، 2001 ، ص 26

شعر أو قصيدة ، ترد على أذهاننا و أفهامنا صور ومعان كثيرة نعرفها قبل قراءة النص ، ومعنى ذلك أننا نملك معلومات مسبقة عما يكون عليه جنس الشعر ونوعه الذاتي الغنائي"[1] كما هي الحال في النص الذي ندرسه لكونه ليس حوارا مسرحا ولا يشمل على قصة محبوكة وإنما هو شعر غنائي له مميزاته الخاصة ولكن ما الذي يجري على مستوى لغة النص وفي بنائها الفني ؟ نلاحظ مرة أخرى أن الخطاب بدأ باسم اشارة (تلك الأماني اللامعات) التي تدل على أن الشاعر متفائل .

وهذا يدل على شيء معنوي غير عاقل وليس فيه روح، ومع ذلك وجدنا هذه العبارة في مطلع القصيدة وفي ختامها وهذا ما يعرف في لسانيات النص ب : " التوازي العمودي " حاملا معه في كل مرة رغبة إنسانية معينة لم يرد الشاعر أن يفصح عنها بوضوح او يحصرها في مطلب محدد . والإنسان ليس من عاداته أن يشير الى شيء معنوي ، فالإشارة هنا إذا غير حقيقية .

وإذا أردنا أن نحقق لأنفسنا فهم المقاصد الخفية لهذا الكلام والاطلاع على بعض النوايا غير المعلنة فما علينا سوى أن نفكك هذه الشفرات أو الرموز اللغوية

[1] محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث - اتجاهاته وخصائصه الفنية - ، دار الغرب الإسلامي ،ط 2 ، 2006 ، ص 66

متجاوزين ذلك المستوى السّطحي والمعنى المعجمي البسيط إلى ما تحمله الكلمات من معان بلاغية عميقة فكلمات النص لها ظاهر وباطن كما نرى ، كما أن كل التراكيب والصور المجازان وحتى الإيقاع الموسيقي الصادر عن أجراس الحروف وأصوات الكلمات المتقابلة والمترادفة لها مثل ذلك من معنى .

2- البنية العميقة للنص:

وهي تمثل مخزونات المعاني التي يحتوي عليها مضمون النص، كما نجد فيها المقاصد الحقيقية الفنية والمعنوية البعيدة ونتساءل أولا:

بم نحس ونحن نقرأ هذا النص ونعيد فيه ؟. إن الإحساس يسبق الإدراك "[1]، وإن حالة الشاعر وشعوره أول ما يصل إلينا من خلال لهجة التمني والاستعطاف والإيقاع الصوتي ، الذي يحمل معه آفاق وآمال الشاعر وصوته المطلق في جرس القاف المشبع بألف الإطلاق على امتداد القافية المتكررة ، ثم ما نلبث أن نجد هذا الأمل العميق يسري في كلمات النص كلها مثل.(الفؤاد ، النسيم ، الكوثر ، القلب ، المحبة ، البشائر النهى ، الأنس ، المنى ، روحي لكم ، التبر، الرجاء)

هكذا نشعر مع الشاعر بوجود نظرة تفاؤلية تعكس تطلعاته وآماله تجاه نفسه ومستقبل شعبه والتي تتجاوز حدود ذاته إلى أن تكون أزمة أمة وشعب بأكمله [2].

يجاهد الشاعر في إخفائها فتغلبه عاطفة الوفاء لقومه والشفقة عليهم فينفجر

---

[1] وهذا ما دعت اليه المدرسة الحسية بزعامة دفيد هيوم

[2] عميش عبد القادر ، الحطاب بين فعل التثبيت وآليات القراءة ، دار الأمل للطباعة للنشر والتوزيع ، تيزي وزو ، الجزائر ، 2012 ، ص 20

بتلك الأماني والتطلعات ، ويدفع الهم الذي يخفيه على كلمات لسانه . ويمكننا معاينة هذا الصراع الرهيب بن الشاعر وبين قوى الشر المسلط عليه وعلى الشعب الجزائري، وهي قوى استعمارية ظالمة، في عدة نقاط نجملها في الأتي :

أ .ادوار المعنى وموجات الانفعال :

إن المعنى المتشكل في النص الشعري " روحي لكم " مزيج من الأفكار والأحاسيس التي تنقلها اللغة المشكلة في قالب شعري رفيع المستوى توثر فينا بصورها وإيحائها وتلميحها أكثر مما بصريح ألفاظها أو وضوح دلالاتها، لذلك يكون الخطأ محاولة نقل النص الشعري إلى كلمات منثورة، وإنما نستطيع وصف هذا الأثر المعنوي من عدة جهات . فما هي أقسام هذا النص الشعري وأدواره في النص ؟

ذكرنا أن النص من الشعر الذاتي الغنائي والدليل على ذلك إسناد الخطاب فيه إلى الذات، وهي ذات المتكلم المفرد" [1] في اللوحة الممتدة في المقطع الأول من القصيدة (زكت بقلبي ، تذري ، تروح عن فؤادي ، تظل تسقيني ، تعطي فؤادك) إل آخر هذا المقطع الشعري ، وهذا الحضور الكبير جدا لذات المتكلم

[1] محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، اتجاهاته وحصائصه الفنية ، ص 314

"أنا" بصيغها المختلفة ليس القصد منه تضخيم الذات والإكبار من شأنها كما في غرض الفخر مثلا .

لكنه حضور قوي لأجل إثبات وجود الشخصية أو الذات وتمكينها في مقابل التهديد بالمسخ والاستئصال من الأخر المعارض لهذه الذات وهو الاستعمار [1] الذي لم يذكره النص صراحة لأسباب فنية تتصل بالخوف ، أو التجاهل أو التحقير أو الكبرياء أو غير ذلك. وقد وجد الشاعر فلفظة **" روحي لكم "** بما تحمله من مضامين تقوم في شعوره مقام الاستعمار بأفعاله القبيحة .

وفي المقطع الثاني تبدأ موجة جديدة من الانفعال المتنامي بالمقت والكره واليأس والانفراج الذي سوى صورة حسية للاحتلال البغيض ، وتكبر ذات المتكلم لتصير جماعة كثيرة العدد هي الشعب والأمة ، وقد استأنس الشاعر بهذا الضمير الدال على الأنا .

لذلك تطور الخطاب الشعري من التمني في البداية إلى الشعور بالحرية في المقطع "حتى يرى الوطن العزيز طليقا "[2] والى التلويح بالانتماء الجماعي " أنتم

---

[1] أحمد شرفي الرفاعي ، الشعر الوطني الجزائري ، دار الهدى للطباعة والنشر ، الجزائر، 2010 ، ص 54

[2] محمد الهادي الزاهري السنوسي ، شعراء الجزائري في لبعصر الحاضر ، ج 1 ، ص 63

رجاء الناهضين" الذي بعث في نفس الشاعر وعاطفته شيئا من الامتعاض والاعتزاز

والتفاؤل ويعني به وجود قدر من الأصالة والعزيمة والقوة الكامنة في الشعب لاسترجاع السيادة وتحرير الوطن من المعتدين .

وبتذكر هذا المعتدي تندفع في البيت (11) موجة جديدة من الإحساس والمعنى الذي يكون خلاصة مركزة لما تقدم في النص الشعري من المواقف الانفعالية والمعاني الذهنية التي فجرها وجود الاحتلال باسطا نفوذه وسطوته حتى كان ذلك الامتزاج بينه وبين الروح بكل المعاني الواهبة للحياة مثل (النسيم .. خفوقا .. تدري .. ترف خافقة ، تروح ، تسقيني ، شروقا ...) ومقابل هذه الروح المعادلة لروح الشاعر و تفاؤله ، يقوم في نفس الشاعر لفظ الشمس ليكون معادلا للأمل في التحرر والسيادة والجهاد لأجل

الحياة الكريمة . وبذلك تكتمل حركة الانفعال في النص لأن إحساس الشاعر ومعه إحساسنا أيضا قد تغذى بالأشياء والمعاني المذكورة في النص حول الروح والاستعمار والحرية والفجر الجديد وصار هذا الإحساس مشبعا بها[1] ، وقد

[1] مجلة الثقافة ، السنة الثانية عشرة ، العدد 71 ، سبتمبر – أكتوبر ، 1982 ، ص 59

تحقق مراده في النص الشعري وعلى مستوى الشعور أيضا وبذلك تنتهي القصيدة على نحو مناسب .

2- الصور البيانية ووظائفها في النص :

لاحظنا أن الموجات الانفعالية المكونة للنص تمثل صراع الذات أو الهوية الوطنية في مواجهة الأخر المحتل الأجنبي، هذا الصراع هو جوهر المعنى الشعري في النص ، لذلك نجده يتشكل أشكالا عدة ويتلون بألوان بيانية وبديعية وإيقاعية كثيرة ونتساءل هنا:

ما هي طبيعة الصور و المجازات التي يشكل بها الشاعر نصه انطلاقا من التراث أو من الخيال كي يجعل منها أوعية لمعانيه وتلوينا لإحساسه ؟ النص على هذا المستوى غني جدا بالصور البلاغية التي لا يكاد يخلو منها بيت من القصيدة ، نتبين فيه توظيفا مميزا وغير مألوف لأنساق اللغة .

ولكن الأهم من هذا أن نعرف الغاية من ذلك الاستعمال غير العادي للكلمات واتساع دائرة المعنى والإيحاء الجمالي وقوة التأثير في السامع أو القارئ ،

ونأخذ مثالا على ذلك من البيت الأول حيث نجد استعارة مكنية في لفظ (الأماني اللامعات) بالإضافة إلي صيغة الإشارة " تلك ".

تلـــــك الأمـــــاني اللامعـــــات ألفت فـــؤادا لا يـــزال خفوقـــا بروقـــــــــــــــــــــــــا[1]

فقد أراد الشاعر أن يجعل قارئه في وضع يحس معه بفداحة الاحتلال الغاشم لأرضنا، وقهره لشعبنا بقوة السلاح والتعذيب والتجويع وحرمانه من نور المعرفة والصحة...إلخ فتخيل عدوه هذا في صورة ظلمة أرخت سدولها على البلاد .

وهي ظلمة طويلة ليس لها آخر تنعدم فيه الأبصار وحرية الحركة كما في البيئة الريفية ، وتكرار هذا اللفظ في مواقع عديدة يحيلنا في لطف ورفق جميل أن المقصود به ليل الاستعمار الذي هو مركب لغوي يأخذ جزءا من معناه من الظاهرة الطبيعية الإعجازية وجزءا آخر من أماني الشاعر ، ولم يقف خيال الشاعر عند هذا الحد بل ركب في جسم هذا الكائن المزجي المخيل (الأماني اللامعات) بروقا صعقت فؤادا لا يزال يخفق ، أي أن قلوب الأمة

[1] محمد الهادي السنوسي ، شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، ص61

كانت نياما وتلك الأماني صعقتها فعادت لها بريق الحياة ، وتزرع فيه إحساسا يجعله يصدق ويفهم عنه أن حياة الجزائريين البائسة المعذبة في ذلك الوقت قد تحولت فعلا من ليل مظلم بلا صباح أو نهار يبصر على ضوئه هذا الشعب طريقه أو يصلح حالهم .

تلك إذن هي أهم الصور البيانية الواردة في النص ، ويمكن لقرائه أن يتوسعوا في التأويل والتحليل بما يجعل كل واحد منهم يكشف ما لا يحصى من الإيحاء والمعنى الذي يربط به هو بوصفه قارئا متميزا بتجاربه ومتفاعلا مع احتمالات المعاني المتولدة من السياق، وهذه الحرية عند المتلقي ضرورة لإحداث الأثر الجمالي في نفسه بكونه قارئا يبدع فهمه الخاص وينتج النص من جديد هذا من ناحية المقروئية والتلقي .[1]

أما من ناحيه ترتيب العناصر والصور البيانية ، فنلاحظ زيادة فن التشبيه و الكناية ثم الاستعارة ، وهذا يعني أن النص يتحرك في منطقة الوضوح ويحتفظ باستقلال الأشياء في مخيلته ويحترم حدودها المرسومة لها في العالم الخارجي الموضوعي كما يقتضي عمود الشعر العربي قديما .

[1] الحبيب مونسي ، فلسفة القراءة واشكالية المعنى ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران ، الجزائر ، ص 311

فلم يتدخل للعبث بتلك الحدود في مساحة ضيقة لأنه في كل من التشبيه والكناية والمجاز يجوز الاحتفاظ بالدلالة الوضعية مع استحسان المعنى البلاغي فيها أو الدلالات الأخرى[2] ، كما نلاحظ أن المواد المستعملة تتوافق مع ما هو مألوف في صور الشعر القديم (مجدل ، الدموع ، أجنحة ، ظلمائه ، الدجى ، جوانح ، البيان .. إلخ) لذلك، لا يجد قارئ هذا النص أية صعوبة لتحقيق التواصل مع مقاصد الشاعر الحقيقية وفهم نواياه [2]، وليس في حاجة إلى تكلف الجهد الكبير لمعرفة أن الليل مثلا جاء رمزا لتصوير الاحتلال وبشاعة ظلمه ، وربما كان جمال هذا النص قد جاء من هذا القصد النبيل ومما يعرفه القارئ مقدما عن فضاء الشعر العربي مبنى ومعنى .

---

[2] الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ص 77

[2] عبد المالك مرتاض ، نظرية القراءة ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص 170

3- الأنساق اللغوية والبديعية ودلالاتها في النص :

يعد النص الأدبي بعامة ، ولاسيما الشعر ، ممارسة إبداعية يظهر فيها الجهد والاختيار واضحين من خلال التعديل المستمر الذي يدخله المبدع على أنظمة النصوص السابقة في التراث فيجعل اللغة في حركية دائمة ونمو مطرد مع احترام الأصول والقواعد التي بدونها يستحيل فهم النص الجديد [1]. وفي هذه الأنساق اللغوية الجديدة أو المعدلة تتمركز شخصية الشاعر وموهبته وجمال أسلوبه .

---

[1] مجيد عبد الحميد ناجي ، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، لبنان ، 1984 ، ص 246

* الأنا : أحد مستويات الجهاز النفسي التي القسمها العالم النفساني السوسري , سقموند فرويد ، والمتكونة من الأنا والأنى الأعلى والهو .

** الآخر : هو الطرف المقابل للأنا ، ويعرفه ج ب سارتر ب " الأنا الذي ليس أنا " ، من الكتاب الفلسفة ، السنة الثالثة ثانوي .

فما هي تلك الأنساق المميزة في نصنا وما دلالاتها الخاصة ؟ بالعودة إلى هيكل النص أو بنيته الكبرى التي ذكرنا أنها تمثل صراع الذات (الأنا) * في مواجهة (الأخر) ** الذي ليس سوى ظلام الاستعمار وليل الكوارث على أبناء الجزائر.

لأجل أداء هذا المعنى فنيا اصطنع النص الشعري نمطين من البناء اللغوي : بناء التضاد وبناء الترادف وكلاهما جاء في شكل تقابلي تناظري يعكس حقيقة تقابل العدو (هو) مع الشعب (الأنا أو نحن)، مثل :

شروق ← غروب ←

طباق

يبيت ← يظل ←

طباق

أقبل ← جاء ←

ترادف

نلاحظ في هذا النموذج النسقي تمركز الشخصية المعارضة أو الشريرة بأفعالها (الاحتلال) في مطالع الأبيات لتحتل بذلك مواقع الصدارة تتحرش بالشخصية

الشاعرة رمز الشعب وتسبب لها تحريضا وألما ومضايقات لا تنتهي في مواجهة مكشوفة وحادة غير رحيمة لأنها هذه القوة الظالمة الغاشمة تريد قهر الذات الشاعرة صحبة الحق البشري وتسعى إلى إقصائها وحرمانها من حقها قي أرضها.

لذلك نجد هذه الذات المظلومة المهضومة تتزاح على مستوى النص - كما في الواقع - فتحل أعجاز الأبيات حيث تثبت وتقاوم بإصرار وتكاد تتمركز في ألفاظ القافية خاصة متشبثة بهويتها ومطالبها المشروعة (خفوقا ، طريقا ، تشريقا ، مرموقا مرزوقا ، مطروقا ، طليقا ، حقوقا ، بروقا ...الخ)[1] وهذه الملفوظات المشكلة لإيقاع القافية هي ما يزود النص بمعناه العميق الصحيح حتى لو جاءت الأخيرة في الرتبة ، (وقد تسمى القصيدة قافية) فعاقبة هذا الصراع غير المتكافئ بين الذات والأخر الأجنبي ينتهي لا محالة لصالح الذات المؤكد في نهايات الأبيات. ولجرس الروي القاف المشبعة بحركة المد المفتوح دلالات أخرى على إخراج الألم وخدمة الإيقاع الموسيقي.

و نلاحظ كذلك أن كل هذه الأنساق وما يتبعها من إلحاق أنها تمثل سطوة المستعمر المعارض للرغبة الوطنية والقامع للذات الشاعرة التي تجسد تلك الرغبات

[1] محمد الهادي الزاهري السنوسي ، شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، ج 1 ، ص 62 – 63

وذاك

الطموح إلى الحرية والعافية والاستقلال و الازدهار...الخ، فالاحتلال وهو لفظ غير مصرح به لكننا نجده حاضرا بقوة في معسكره الرهيب (الحوادث ، الدموع ، الحريق ، اليأس ، الهموم ، الليل ، مطلسم ...الخ) وهذا المعسكر الطاغي من شأنه أن يحطم كل شيء جميل ونافع في الحياة والوطن ويدنس الوجود . والدنس لفظ ديني يفيد معنى تشويه العقيدة وتدمير الروح [1].

نلاحظ كذلك أن هذا النسق يحيل على الذات منها بالقوة والقهر، فهي لا تفتأ تطالب الغالب باسترداده ، وتتوسل إلى ذلك بشتى الوسائل والصيغ التعبيرية ومنها النسق الترادفي الذي جاء بغرض الكشف عن فداحة المأساة الوطنية على

[1] أحمد شرفي الرفاعي ، الشعر الوطني الجزائري ، ص 128

مستوى حياة الفرد - الشاعر والجماعة_ الشعب [2].

وهذه الأنساق المذيلة بالتطويل والإلحاق نجدها تعبر الآمال التي يعلقها الشاعر في سبيل حرية وطنه وشعبه ، وتعبر تارة أخرى عن انفساح هذا الأمل والثقة بالنصر وترقب الفجر والصباح والانشراح ... وهذا يعني أن الصراع مستمر في الواقع ومتجدد ليرغم ظهور قوة المعتدي فالذات الشاعرة [3]مصرة على المقاومة وثابتة في النص لم تفقد صوابها و لم تستنفذ كل وسائل الدفاع عن حقها وهويتها ومن بينها هذا الشعر واللغة العربية التي كتب بها .

4- الإيقاع والعاطفة في النص :

هذا الجمع بين الإيقاع والعاطفة مقصود ، لأن الإيقاع حركة للنفس تنقلها موسيقى الأبيات وأجراس الحروف وأصول الكلمات [1]بفضل انتظامها من نسق أو انساق معلومة ، وكيفيات مميزة في التلفظ بها عند الإلقاء أو الإسناد (القراءة) فالإيقاع متضمن في الشعر والنثر " كالسجع والازدواج مثلا" إلا انه في الشعر أظهر بالنظر إلى توفر هذا الإطار العروضي العام الذي ذكرناه في بداية التحليل .

---

[2] صلاح عبد الفتاح الخالدي ، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، شركة الهاب ، الجزائر ، ص 21

[3] مجيد عبد الحميد ناجي ، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، ص 54

[1] صلاح عبد الفتاح الخالدي ، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، ص 18

وتتنوع الإيقاعات في الشعر بتنوع أحوال الشاعر العاطفية [2]من إيقاع راقص ، ومأساوي، وثوري.. ونحوها ، وثمة ما يربط بينها وبين موسيقى الأفكار التي رأيناها في الألوان البديعية ، لأن الفكر يبحث دائما عن التماثل والتقابل أو التضاد والتنافر .

وبالعودة إل النص نلاحظ سرعة جريان الإيقاع ونلاحظ النغمات الشجية في الجمل القصيرة المتوالية تعبيرا عن العاطفة المأزومة المكروبة بهاجس الاستعمار الذي قمعها وحد من حريتها وحرمها من تحقيق مطالبها وطموحها، فجاءت جمل النص قصيرة ومشحونة إل أقصى حد بالغيظ والألم وهي ما أن تبلغ حد القافية في النهايات المؤقتة حتى تتفجر في حرف القاف المطلق الممدود بصوت مفتوح عن آخره كأنه صرخة حادة لإخراج الألم المحتبس في النفس ، ثم تندفع غصة أخرى من حرف الألم مع جمل البيت الذي يلي السابق بتشكيلة جديدة من إيقاعات أخرى قصيرة حادة مشفوعة بياء التكلم الذي يفيد انكسار النفس وانغلاقها في حزنها (قلبي ، تسقيني ، جوانحي روحي ...)

وهي صيغ تتحد مع المدلول السلبي للمضامين المعنوية فتكون ما يعادل نغمة الأنين

---

[2] محي الدين صبحي ، احسان عباس والنقد الأدبي ، الدار العربية للكتاب ، 1984 ، ص 51

أو البكاء المكبوت إلا في حالات قليلة تمثل حلم الذات الشاعرة حينئذ ، واما مشفوعة بأصوات لين تسمح هي الأخرى بتقطيع الألم والحد من أثره الضار على النفس[1] مثل : (الأماني ، الفؤاد ، النسيم ، قلبي ، الدموع ، البشائر ، النفوس ، البيان ، الناهضين ، اللامعات...الخ).

وهذه الأصوات والإيقاعات على اختلافها تنقل توتر مشاعر الذات وسرعة دقات القلب وحدة الانفعال الذي هو تارة يهدأ قليلا وتارة أخرى يتصاعد بعنف مع ثورة النفس وغضبها على المستعمر فتكثر الكلمات الممدودة والأصوات اللّينة وتختلط معها بعض أصوات الانفجار التي تنقل عاطفة الغضب والسخط مثل (بروقا ، الحريق ، الظلماء ، الهموم ، وحشة ...الخ) .

وهي جمل قصيرة جدا كما نرى ومتقطعة تتوزع وحداتها الإيقاعية في ثنايا النص لتنفث فيه الروح الرافضة المتمردة والمتحدية لجبروت الاستعمار .

لذلك لا يوجد نوع واحد من العاطفة في النص بل فيه عدة عواطف الشكوى، التمني الاستعطاف أو الرجاء، السخط، الثورة التبرم وغيرها وبتعبير أخر النص فيه عاطفة لكنها ليست على حالة واحدة مستقرة بل هي عاطفة متوترة تكون

[1] مجيد عبد الحميد ناجي ، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، ص 21

متهادنة حينا ، وثائرة حينا آخر وحالمة أحيانا أخرى ، ومتوارية تماما في بعض الأحيان ، فهي ترسم في النص ما يشبه خطوطا متعرجة فيها ذرى ومنخفضات وانكسارات كثيرة غير مستقرة، فهل نسأل بعد هذا إن كانت عاطفة الشاعر صادقة أم كاذبة؟

خاتمة

في ختام هذا البحـــث يمكن القول إن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث تتلخص في :

- إن كتابات محمد الهادي السنوسي الزاهري على اختلاف أشكالها وتنوع المؤلفات التي نشرت فيها ، قيمتها تكمن في أن منطلقها الجوهري هو مجابهة السياسات الاستعمارية في ظل الصراع الحضاري ، و الذي عمل الاستعمار من خلاله على سلب أصالة الجزائريين، ومسخ مقومات شخصيتهم الثقافية.
- إن الشاعر محمد الهادي السنوسي الزاهري، و على الرغم من مميزاته الشخصية والتي تجعله متفردا و متميزا، يبقى ابن بيئته على حد تعبير علماء الاجتماع .فقد عاش أوضاع مجتمعه ، و استوعبها ، و تأثر بها ، فكانت رافدا قويا و موجها لطبيعة كتاباته الإصلاحية على اختلاف موضوعاتها ، التي لا تخرج عن دائرة توجه النخبة الإصلاحية من الشعراء في الجزائر و على توجه النخبة الواعية في الحركة الثقافية الوطنية الجزائرية بشكل عام، فلقد كانت تسعى- كل بسلاحه - إلى تحرير الوطن من ظلم الإستعمار .
- و إن كتابات محمد الهادي السنوسي الزاهري هي في الغالب من فني المقالة و الخطابة والشعر، وهي تلتقي من حيث الخصائص الفنية و الفكرية في التعبير عن هموم الجزائريين في عصر محمد الهادي السنوسي الزاهري .
- و من ناحية أخرى فإن الدارس لقصائد محمد الهادي السنوسي قد لا يهتم كثيرا من حيث خصائصها الفنية في ذاتها، فإنها في الغالب لم تخرج حين وضع هذه القصائد في سياقها التاريخي و الأدبي عن شروط الكتابة الفنية في

هذه الأجناس ، أي أنّ تميز هذه القصائد الكتابية خطابية كانت أم مقالية، بطابع صياغي مرن، يرفض القوالب المسبقة حتى و إن كانت حقيقة واقعة في تراث الكتابة الأدبية العربية.

- لقد تميز محمد الهادي السنوسي بالقصائد الشعرية التي تختص بمعالجة العديد من المواضيع ذات الطابع الاجتماعي والسياسي والديني ...الخ ، غير أن هذه القصائد كثيرا ما تتقاطع في موضوعاتها، نتيجة أنها تصب جميعا في خانة الإصلاح الاجتماعي في أوسع معانيه.
- و لما كانت هذه الكتابات هي من فن التأثير و الإقناع أساسا ، فإنها وفرت للشاعر آلية التزامه بقضايا الجزائريين، وهذا في إطار الصراع الحضاري الفرنسي الغربي من جهة، و الجزائري العربي الإسلامي من جهة ثانية.
- لقد التزم محمد الهادي السنوسي حسب ما نفهم من كتاباته بتجاوز الدعوة المجردة إلى الممارسة، وهذا تجلى من الجمع بين سيرته الذاتية ، و طبيعة أفكاره التي كان يدعو إليها.
- و في إطار التزام محمد الهادي السنوسي بقضيته الوطنية نجد أنه كان يجنح إلى مواجهة الاستعمار في آثاره الكتابية، و مجابهته الصريحة في الكثير من المواقف حقا إنه كان يتجنب هذه المواجهة أحيانا وهذا بالعمل من خلال منهجية التصوير حفاظا على المصلحة العامة للحركة الإصلاحية، و نظرا لطبيعة البطش الاستعماري.
- و أخيرا فإن الخيال أو التصوير البلاغي يبقى عند الشاعر من آليات صنع

الخطاب و الوسيلة إلى إفهام القارئ أو السامع الرسالة المقصودة مع التأثير عليه في محاولة تقبلها .

و بعد هذه الحوصلة المبسطة لكل ما وصلنا إليه من دراستنا لهذا الموضوع،يبقى أن نقول بأننا لا نزعم في هذه الدراسة المتواضعة الإحاطة الكاملة بفنيات الخطاب في آثار محمد الهادي السنوسي، ولا الإلمام الشامل بجملة خصائصه الفنية ، لأنه لا يمكن أن نملك الحقيقة التي تمثل القول الفصل في تحديد مقاصد خطاباته ، التي لا تزال بحاجة إلى وقفات دراسية جادة في جوانبها المختلفة ، و مقارنتها بنتاج رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من مثل محمد البشير الإبراهيمي، و عبد الحميد بن باديس، ومبارك الميلي، و الطيب العقبي والعربي التبسي ... و غيرهم.

و أملنا أن يكون هذا البحث قد قدم ما بواسطته تم الالتفاف إلى أدبيات محمد الهادي السنوسي ، وإلى جهوده الإصلاحية الرائدة من أجل تشييد جزائر حرة فيظل العروبة و الإسلام و التي ظلت قبل اليوم على ما نعلم كتابات بلا دراسات.

و بالله التوفيق.

ملحق

تعريفه :

أنا محمد الهادي بن علي بن محمد بن العابد بن السنوسي الزاهري نسبة إلى جدّنا الأكبر (أبي زاهر)الحسني نسبة إلى الحسن السبط رضي الله عنه على ما هو متواتر يرويه كابر عن كابر وحسب سلسلة النّسب .

ولدت(باليانة) قرية من قرى الزاب الشرقي قبلة بسكرة النخيل بمنزلنا المعروف بحارة آل السنوسي في ربيع الأول سنة 1320 ه. عائلتنا من أشرف عائلات بلدنا : وأقدمها فيها : إذ جدّنا الأكبر أبو زاهر هو من المؤسس لها : وواضع الحجر الأول فيها [1].

اسم والدي علي بن محمد بن العابد الخ ...ترعرع في أرمة أمنع من جبهة الأسد : أتقن القرآن حفظا .ثم انبرى في طلب العلم

ولم يأل جهدا حتّى أشتدّ ساعده في علوم النحو : والصرف والفقه وله ولوع كبير بتفسير القرآن وكثير ما كان يتذاكره هو ورفيق حياته العالم الشيخ عبد الرحيم الزّاهري .وكانا لا يفترقان بياض النهار وزلفا من الليل .

أكبر الرّجال في عينه العلماء :وأعزّ عزيز لديه العلم . وأحبّ الشبيبة إليه طلاّبه : أذكر أنّه عزم على أن يرسل بي إلى قسنطينة في طلبه فلقي معارضة شديدة من أقربائه لمّا رأوا من صغري : وعدم تجلّدي في الاغتراب .

فما أقام لمعارضتهم وزنا . قضيت ما قضيت بقسنطينة ثمّ قفلت في منتصف السنة الأولى لزيارة الأهل فكان اجتماعنا وقتئذ آخر اجتماع : في العشر الأواخر من رمضان سنة 1336 ه جاءني كتابه يستحثني على

---

[1] محمد الهادي السنوسي ، شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، ج 1 ، ص 5

القدوم إن أنا أتممت دروسي . فما بلغت مرادي في سفري إليه حتّى خبّرت أنّه ودّع الحياة بالأمس ليلة السابع والعشرين من رمضان من تلكم السّنة عن سنّ يناهز الأربعين ، فكنت كالصادي في البوادي ، أو الجريح في المهامة الفيح ؟؟.

حي حياة الأبطال عزيز الجانب، مخاطرا بنفسه في سبيل العجز من الأرامل واليتامى، ألبنا على الظلم وأهله : يطرب فرحا لما يسمعه عن الشّرق والشّرقيّين في نهضتهم .

توفّي والدي قبل أن يشتدّ ساعدي : وتحفّزت الأيام للوثوب غليّ لولا شقيقي سيدي العابد الذي ما ادّخر عزيزا إلاّ وكان به عليّ جوّادا .

تربيّتي :

اقتسم تربيتي في الصغر والدي وجدّي وجدّتي لأمي ، عنى والدي بتربيتي الروحيّة فأدخلني الكتّاب القرآني ببلدنا فمكثت فيه مدّة كان المرض يعاودني في أثنائها كثيرا حتىّ سئمت الكتّاب وما حوى ، ونظرا لما كنت عليه من ضعف البنية رأى والدي أن يتولى قراءتي بنفسه ليسايرني حسب ضعفي فاتّخذ لي أسلوبا خاصا : يملي غليّ ما تعوّدت حفظه يوميّا من الكتاب العزيز ، وشيئا من أشعار العرب مع شرح بسيط يقنع مثلي إذاك.

وأمّا تربيتي الذّاتية فأكثر من تولاّها جدّي لأمّي المرحوم سيدي عبد الحفيظ السنوسي الزّاهري ، وجدّتي لأمّي . قضيت أيّام صباي في حجريهما غير مكلّف شيئا من متاعب الحياة الدنيا . أمّا الجدّ فقد مات شهيد الهدم ، وهو يريد الوضوء من سفح كهف تجاه حقول له خرج يلتمس منظرا أو تسلية ، وأمّا الجدّة فلازلت منها في كنف الأم .

طلبي للعلم :

بعد أن أتممت القرآن رأى والدي أن لابدّ من إرسالي في طلب العلم ولحسن الحظ وافى غرضه قدوم الأستاذ الكبير العلاّمة الشيخ عبد الحميد بن باديس لبلدنا ، فاجتمع به أعيان البلد ، وعرضوا عليه لإرسال فريق من أبنائها إلى مدرسته فقبل ذلك مغتبطا .

جئت قسنطينة في حين لم إعرف للعلم إلاّ اسمه ، فأخذت أزاول عليه ما كنت مستعدا له إلى أن قرأت عليه كتبا في اللغة وقواعدها والإنشاء ، وكتبا في التوحيد عرفنا بها معنى التوحيد ، وخرجت بنا من التّقليد ، وشيئا في الفقه لا أذكر من كتبه غير (بداية المجتهد ونهاية المقتصد)لابن رشد الحفيد ن وفي التفسير شيئا ليس باليسير ، يريك الدّين وجواهره ، والإسلام ومفاخره ، كنت قبل صحبتي لهذا الأستاذ الإمام ولوعا بأباطيل الخرافيين من الطرقيين ، راسخ اليقين في الإيمان بطواغيت الدّجالين ، ولقد أصبحت والحمد لله ، حرّ الضّمير والعقيدة والفكر ، راسخ اليقين في أنّ الإسلام هو ما جاء به محمّد صلّى الله عليه وسلّم ، لا التصوّف ،وما يدّعيه الصّوفيون أو المتصوّفون .

بدأت أقتبس أنوار الحياة الجديدة يوم أن وقف بنا على مطلع شمس القرآن وسيرة رسولنا الأعظم صلّى الله عليه وسلّم ، وعلى أبطال الجزيرة العربية من الصحابة ، وما كان لهم من الشموس عن عير الله ، ومن حضر درسا على هذا الأستاذ رأى رأي العين ، وترك المجال للرّجال .

لازمت الأستاذ زهاء السبع سنين كنت معه مدّتها المحبوب المقدّم ، ولست بآسف على شيء معها كأسفي على عتاد ملازمته .

نويت الارتحال غلى مصر في سنة 1923 في طلب العلم ، وأعددت للرّحيل عدّتي ، وركبت القطار إلى (سكيكدة) لأمتطي البحر من هناك ،

فركبت الباخرة وما أقلعت حتّى رأيت البوليس بجانبي آخذا بيدي إلى إدارة " الكوميسارية " حيث عطّلت أوراق سفري بدعوى أنّ من بيده أمري بقسنطينة طلب ذلك ، فتقهقرت ولله تصير الأمور .

وفي سنة 1344 ه تألّفت شبيبة من قسنطينة تسمّت الشبيبة الجزائرية وأسست مطبعة إصدار جريدة تحت اسم (المنتقد) وأوّلا (فالشهاب ثانيا) فانتخبتني نائبا عنها في القطر الجزائري ، فسرت في ترويجهما شوطا بعيدا ، في أمد غير مديد ،وفي سنة 1345 ه انسلخت عن النّيابة مشتغلا بما هو أهم ، وتركت النّيابة (لمتديّن أبيض غير أسمر يبيت راكعا ساجدا ، ولو في غير مصلّى إذا ما ظلام الدّياجي أنبهم ؟؟ولقد نشرت جريدة الشهاب سبب انسلاخي عن النيّابة لانشغالي بكتاب " شعراء الجزائر " كما قال في رواية وعرفت بالنائب الثاني بما لا يزال القراء وأصحاب الشهاب أنفسهم على ذكر منه . كنت منذ الصغر إلى ما قبل قراءتي على الأستاذ بيسير ولوعا بأقاصيص العرب وأخبارها ، وزاد شغفي بها محصها الذي سهّل عليّ قراءتها ، ولقد تحصلت منها على ملكة لا أستقلّها في العربية ، وعلى معرفة تامّة وذوق خاص في أوزان بحور الشعر كالطويل والبسيط والخفيف والوافر وغيره .

ولا بأس بإيراد فذلكة في هذا المعرض تعطى القارئ مثالا في هذا الموضوع : بأحد المفترين بأنفسهم ، المعجبين بمعارفهم في العربية وموازين الشعر ، وأنا لإذاك لازلت لم أعرف من العربية إلاّ ما بقي في ذهني من الأقاصيص ، ومن قواعدها غير إعراب قام زيد ، فلم أكن بالقادر على إمتحان هذا المدّعي ، وكان كثير التطاول عليّ ، فدعاني ذات يوم لإملاء (المعلقات السبع) عليه ليكتبها فوجدت طريقا سهلا لاختباره من

حيث لا يشعر لغة وعروضا . فأمليت عليه قصيدة طرفة إلى آخرها ، فكان كلّما أمليت عليه بيتا عجب من غرابة ألفاظها اللغوية ، فعلمت أنّ الرّجل على غير علم من العربية ، فطفقت أنظم له من كلام لا معنى له نظما على جانب من استقامة الوزن ، مع مطابقة البحر للبحر والرويّ . أمليت عليه ما فاق قصيدة طرفة عدّا ،فلمّا أعياه طول المملي أخذ يناظر بين ما كتب ، وبين ما في المعلقة إلى أن تفطّن للدسيسة ، وشقّ عليه الأمر ، فمزّق ما أتعب نفسه عليه أيّاما وزاد ، فمزّق عمامته غيضا ، ففررت منه لما خفته إلى حيث النجوى بعد أن علمت منتهى علمه ، وقطعت سلسلة مدّعياته .

لا أطيل تعداد ما كتبته عن الوطن في سياحتي بالقطر الجزائري بجريدتي : "الشهاب " والمنتقد "وما لي من قصائد في الجريدتين تمضى ب (شاعر المنتقد) ، ولكنّي أذكر كلمة موجزة في نظمي ، وكيف كان سبيلي إليه اوّلا ،

بدأت أنظم السعر باقتراحات يقترحها الأستاذ على التلاميذة ، فيعطينا القصيدة ، والبيت والبيتين ، ويفرض جائزة للمجيد في التخميس ، أو التشطير ، كنت أجهد نفسي في ذلك حتّى تحصلت على شبه ملكة شعرية . فأخذت أنظم القصيدة حتّى إذا ختم الأستاذ درس التّفسير ألقيها على الحفل الحاشد ، الأمر الذي زرع في نفسي نشاطا بما كنت أراه من استحسان الجمهور لما ألقيه .

وهاك أبياتا من قصيدة ألقيتها بعدختم سورة (الأنفال) سنة 1343 ه

الحق أثبت في النفوس وأكبر *** أدعو به فهو السراج الأزهر

هـذا كتاب الـلـه جلّ بيـــان *** (قضيت الممالك دونه والأعصر)

ومنها بعد نحو العشرين بيتا ، مخاطبا الجمهور الذي كان ينوف عدد أفراده الألف :

أنتم بنو القطر الكريم ، وأهله *** لا يخدعكم الجبان المنكر

تحي البلاد بكم ، ويثمر نبتها *** أمّا بغيركم فليست تثمر

ثمّ بسطت لقلمي في الشعر بساطا ذا ألوان ، و ُنّي لأتمنى عليه غدا أن يكون أوسع منه الآن .

وقد كانت وفاته في 03 أكتوبر 1947 ودفن بمقبرة "قاريدي "بالقبة.

محمد الهادي السنوسي الزاهري

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

1.المصادر :

1.إبراهيم أبو اليقظان . الديوان . المطبعة العربية . الجزائر . 1931 ، ج 2 .

2.جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .

3.حمود رمضان . بذور الحياة، تونس 1928.

4.محمد الهادي الزاهري السنوسي ، شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، ج 1 .

5.محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث - اتجاهاته وخصائصه الفنية - ، دار الغرب الإسلامي ،ط 2 ، 2006 .

6.صالح خرفي ، الشعر الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، سنة 1984 .

2.المراجع :

1.أحمد شرفي الرفاعي ، الشعر الوطني الجزائري ، دار الهدى للطباعة والنشر ، الجزائر، 2010 .

2.الباجي القمرتي؛ الاجتهاد وعلاقته بالخطاب الديني المعاصر. ط1. الدار التونسية للنشر. تونس. 1993.

3.الوناس شعباني ، تطور الشعر الجزائري منذ سنة ، 1945 الى 1980 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .

4.- زواوي بغورة ، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2000 .

5.- الحبيب مونسي ، فلسفة القراءة واشكالية المعنى ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران ، الجزائر .

6.خولة طالب الابراهيمي ، آثار محمد البشير الابراهيمي ، ، الجزء الأول ، دار الغرب الاسلامي ، ط 1 ، سنة 1977 .

7.محمد أركون ، الفكر العربي ، ت ر عادل العوا ، ط 3 ، منشورات عويدات بيروت ، لبنان ، 1985 .

8. محمد بن داود الصنهاجي ، متن الأجرمية في النحو ، ط 2 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، 2002 .

9. محي الدين صبحي ، احسان عباس والنقد الأدبي ، الدار العربية للكتاب ، 1984 .

10. محمد طهاري ، مفهوم الاصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، ط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1992 .

11. محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر.

12. محمد مهداوي ، الشيخ البشير الابراهيمي ، نظاله وأدبه ، دار الفكر ، دمشق .

13. محمد الصالح الهرماسي. مقارنة في إشكالية الهوية. المغرب العربي المعاصر . دار الفكر. دمشق. سوريا. 2001.

14. محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية اليسرة ، م ج 1 ، ط 2 ، دار الجيل بيروت ، لبنان ، 2001

15. مجيد عبد الحميد ناجي ، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، لبنان ، 1984 .

16. صلاح عبد الفتاح الخالدي ، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، شركة الهاب ، الجزائر .

17. عبد الله ألركيبي؛ الشعر الديني الجزائري الحديث. ط1 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. 1981.

18. عبد الحميد غنام ، محمد الهادي السنوسي الزاهري ، حياته وشعره ، منشورات السائحي ، ط 1 ، 2007

19. عبد الملك مرتاض ، فنون النثر الأدبي المعاصر في الجزائر ، 1925 ، 1945 .

20. عبد المالك مرتاض ، نظرية القراءة ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، الجزائر.

21. عبد الرحمن ابن ناصر السعدي ، تيسير الكريم في تفسير كلام المنان ، ويليه القواعد الحسان لتفسير القرآن ، ط 2 ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 2002 .

22. عبد الرزاق عبد المطلب ، العروض والقوافي ، دار شريفة ، ط 2 ، 2001 .

23. - عميش عبد القادر ، الحطاب بين فعل التثبيت وآليات القراءة ، دار الأمل للطباعة للنشر والتوزيع ، تيزي وزو ، الجزائر ، 2012.

3.قائمة المعاجم والموسوعات :

1. الموسوعة الفكرية ، اعداد مؤسسة البحوث والمشاريع الاسلامية ، المجلد الأول ، ط2 ، 1980 ، مؤسسة الرسالة سوريا .
2. بوعمران الشيخ وآخرون، معجم مشاهير المغاربة ، جامعة الجزائر، 1995 .
3. جبور عبد النور (المعجم الأدبي) دار العلم للملايين ، بيروت ن ط 1 ، 1979 .
4. جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج 2 ، الشركة العالمية للكتاب ، 1997
5. ابن منظور ، لسان العرب " مادة خطب " ، الجزء الأول ، ت ح عبد الله علي الكبير وآخرون ، دار المعارف ، مصر ، د ت .

4.الجرائد والمجلات :

1. الأقدام ، جريدة باللسانين العربي والفرنسي ، صدرة عام 1919 .

2. مجلة الأثر ، العدد 20 ، جوان 2014

3. القبس ، السنة 3 ، الجزء 1 ، في العدد 6 ، ص 57 – 58 في محرم 1388 ، مارس 1968 .

4. مجلة الثقافة ، السنة الثانية عشرة ، العدد 71 ، سبتمبر – أكتوبر ، 1982 .

5. نور سلمان ، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير .

4- المجلات الالكترونية :

موقع مجلة البصائر العدد: 475 مقال بعنوان أعلام من الجزائر : محمد -1 الهادي السنوسي الزاهري بتاريخ 17-9-1429.من

ttp://www1.albassair.org/modules.php?name=New article&sid=729&file

6. المراجع باللغة الأجنبية

Encyclopédie del'islam (ISLAM). Maison neuve et larousse. Paris. 1978 -1

الفهرس

الإهداء	
شكر وعرفان	
مقدمة:	أ
مدخل	06
الفصل الأول الحركة الإصلاحية في الجزائر	
حالة الجزائر سياسيا واقتصاديا	21
حالة الجزائر دينيا وفكريا	29
بوادر الإصلاح في الوطن العربي	34
نشوء حركة الإصلاحية في الجزائر	37
محمد الهادي السنونسي وجهوده في الإصلاح	39
محمد الهادي السنوسي واللغة العربية	46
الفصل الثاني الخطاب الإصلاحي عند محمد الهادي السنوسي	52
مفهوم الخطاب الإصلاحي عند محمد الهادي السنوسي	52
مستويات الخطاب الإصلاحي عند محمد الهادي السنوسي	59
وسائل الخطاب عند الهادي السنوسي	61
الإصلاح الاجتماعي من خلال عمل الشاعر	67
الفصل الثالث	81
عن الشاعر وميلاد النص:	81
على مستوى البنية السطحية للنص	82
البنية العميقة للنص	85

الأنساق اللغوية والبديعية ودلالاتها في النص	93
الإيقاع والعاطفة في النص	97
خاتمة:	101
قائمة المصادر والمراجع	105
الفهرس	111